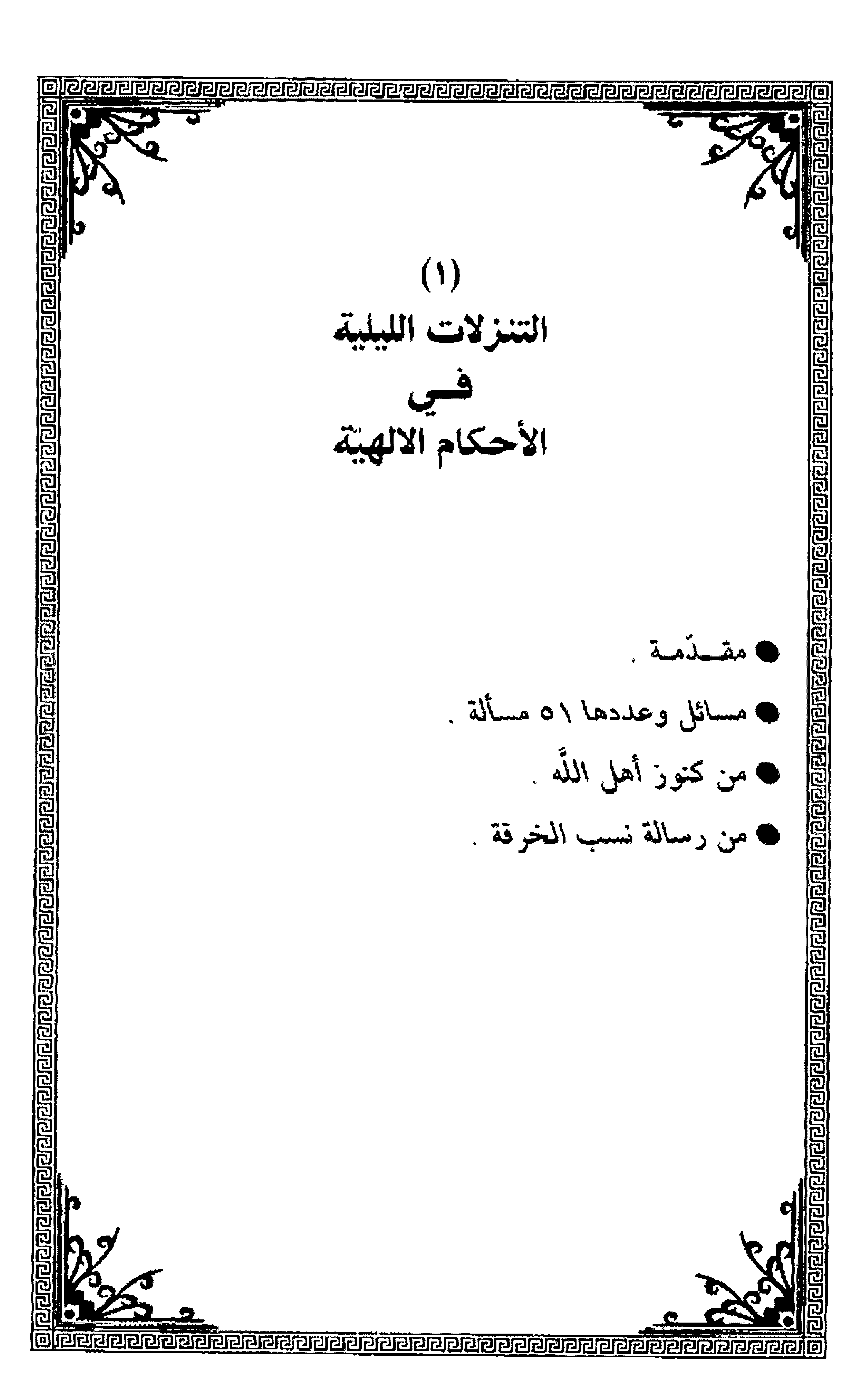


تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الثاني

دار الرسول الأكرم (ص) — دار المحجة البيضاء



(١)

التنزلات الليلية
فــي
الأحكام الالهيّة

- مقــدّمـة .
- مسائل وعددها ٥١ مسـألة .
- من كنوز أهل اللّه .
- من رسالة نسب الخرقة .

ـ نقلتها من نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر الشريف أدامها الله عامرة بمنه وكرمه .

رقمها الخاص : ٩٦١ ، رقمها العام : ٣٣٥٩٥ ، تصوف .

وهي ضمن مجموعة .

يقول الله تبارك وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ .

صدق الله العظيم

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
الحمد للّه ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

وبعد :

من المعروف أن التصوف هو : العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .

هذه قضية لا نزاع ـ عندنا ـ فيها ولا إشكال .

ومن المعروف أيضاً أن التصوف الأصيل شيء والدخيل شيء آخر .

قال الإمام الجنيد (رحمه الله تعالى ورضي عنه) عن التصوف :

«علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» اهـ .

وقال أيضاً : «الطريق إلى الله مسدود : إلاّ على المقتفين آثار رسول الله (ص)» اهـ .

وقال سهل بن عبد الله التستري (رحمه الله ورضي عنه) :

«أُصولنا سبعة :

١ ـ التمسك بكتاب الله .

٢ ـ والإقتداء برسول الله (ص) .

٣ ـ وأكل الحلال .

٤ ـ وكف الأذى .

٥ ـ واجتناب المعاصي

٦ ـ والتـوبـة .

٧ ـ وأداء الحقوق» اهـ .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه وأرضاه).

«ليس هذا الطريق بالرهبانيّة ، ولا بأكل الشعير والنخالة ، وإنما هو بالصبر على الأوامر ، واليقين في الهداية .

قال تعالى : ﴿**وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾» اهـ .

وقال أيضاً (رضي الله عنه) :

«ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ، ومتابعة السنة ، فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما ، فهو مفتر كذاب» .

ونحن معه في كل ما قال (رحمه الله تعالى) ، ولا نخالفه .

* * *

وقول الشيخ محمود خطاب السبكي في مقدمة كتابه «المنهل العذب المورود» لما سأله الشيخ حسونة النواوي عن التصوف ، قال ما لفظه :

«إن القلوب مملوءة بحب الدنيا ، فلا محل فيها لقبول شيء من التصوف» .

فيه الرد الكافي على كل مفتر كذاب .

وإذا كان ابن تيمية نفسه (رحمه الله تعالى) قد أباح الوقف للصوفية (رضي الله عنهم) .

فأما أن يكون قد حدث عنده عته فخالف نفسه .

وأما أن يكون هؤلاء المتيمون : لم يفهموا ما يقول الرجل ، أو ما يهدف إليه .

وأما أن ينبذوه أيضاً وراء ظهورهم : ابتاعاً لرأيهم .

وأما أن يريحونا من هذا الهراء الذي يذيعونه على الناس .

قال صاحب كتاب : «الاختيارات الفقهية - فقه حنبلي - [قال ابن تيمية في الفتاوى : «ويصح الوقف على الصوفية .

فمن كان جماعاً للمال ، ولم يتخلق بالأخلاق المحمودة ، ولا تأدب بالآداب الشرعية ، وغلبت عليه الآداب الوضيعة ، أو كان فاسقاً : لم يستحق شيئاً» . اهـ منه .

أما الدخيل على التصوف ، وهو الذي اخترعه بعض الناس اليوم ، فليس من الإسلام .

فإنّ الله تعالى أمرنا أن نعبده بما أنزل إلينا في القرآن والسنة الشريفة وحسب ، وليس لنا أن نخترع شيئاً من عند أنفسنا ونسميه عبادة .

* * *

على أننا ننادي بأعلى أصواتنا وأرفعها :

«إن التصوف لا يصلح له إلاّ صدق الدعوة ، والإيمان بها من عميق القلب . لأن الدعوة إلى الله بالعزم والقوة الصادقة . إذ هو القسم الثالث من أقسام الحديث الشريف «أن تعبد الله كأنك تراه» .

* * *

نحن نعرف أن سيدنا سلمان الفارسي (رضي الله عنه وأرضاه) كان من أعز أصحاب رسول الله (ص) .

وكذلك سيّدنا أبو الدرداء (رضي الله عنه وأرضاه) . وكان قد آخى بينهما رسول الله (ص) .

ولما أنتقل رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلىٰ وتوزع أصحابه في البلاد : سمع سيّدنا سلمان أن سيّدنا أبا الدرداء يعظ الناس - وحق له ذلك - لأنه عاصر رسول الله (ص) وعرف سنى[1] أحواله ، فلم لا يعظ ، وهو من هو بين الصحابة الأجلاء ؟ .

ولكن التناصح بين المسلمين : حق واجب .

---

(١) بفتح السين المهملة وكسر النون الموحدة من فوق .

فأرسل إليه كتاباً هذا نصه :

«يا أخي ، بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضىٰ ، فانظر ، فإنّ كنت طبيباً : فتكلم ، فإن كلامك شفاء .

وإن كنت متطبباً ، فالله ، الله . لا تقتل مسلماً» ا هـ .

* * *

هذه الكلمة الطيبة التي قالها سيّدنا سلمان (رضي الله عنه) . نسوقها إلى مشايخ الطرق :

[إن كنتم كذلك ، أمناء على دينكم ، تحسنون القيام على خدمة الطريق بما يرضىٰ الله تعالىٰ ورسوله (ص) ويحفظ دينه ، فالحمد لله تعالىٰ .

ومن كان منكم لا يحسن الوضوء ، فليجتنب الدعوة - إلى طريق الله تعالىٰ - إلى من هو أولىٰ منه من أهل العلم والأمانة .

وإلّا فحسابكم عند الله طويل ، ويومكم أسود من فحم جهنم] .

* * *

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه ، فبالروح يفديه .

هؤلاء القوم - وهم الصوفية - ابتلوا بالإتهامات الصعبة ، الشنيعة التي لا يرضاها الله ، ولا رسوله ، ولا المؤمنون .

قال جماعة : إن التصوف : لم يكن على عهد رسول الله (ص) ، وإنما وجد في القرون الآتية بعده عليه الصلاة والسلام .

وقال جماعة : إن التصوف : كلمة «يونانية» نقلها بعض المسلمين لما اختلطوا باليونان :

وقال جماعة : كذا . . . .

وقال جماعة : كذا . . . .

وقال جماعة : كذا . . . .

وهكذا : تقولوا عليهم أقاويل : لا يساعدهم عليها العلم الصحيح ، ولا النظر الدقيق .

والقصد من كلامهم هذا : محاربة التصوف الذي يدعو إلى الكتاب والسنة الصافية : البعيدة عن المادية البشعة التي سيطرت على المسلمين ، فأذلتهم ذل العبيد .

وصدق رسول الله (ص) :

«إني لا أخشىٰ عليكم الشرك ، ولكني أخشىٰ عليكم الدنيا : أن تنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» .

على أن الدنيا ليست هي الكسب والمال ، فإن الله سبحانه وتعالى واجهنا مواجهة صريحة ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ .

ولكن الدنيا هي : جمع المال من الحرام الصرف ، أو الحرام المختلط بالحلال .

إذ جامعه لا يبالي : كيف أكتسب هذا المال : من حرام أم من حلال .

ومن لم يبال بما أكتسب من حرام أو من حلال : لم يبال الله به أن يهلكه في أي أودية جهنم ، والعياذ بالله .

وكيف ندعوا المسلمين إلى ترك التكسب ، وقد كان عبد الرحمن بن عوف ـ من أصحاب رسول الله (ص) ـ تاجراً ومن أغنىٰ أغنياء الصحابة (رضي الله عنه وعنهم) ، ودعىٰ له رسول الله (ص) بالبركة في أهله وماله .

وكان كذلك كان عثمان بن عفان .

وكذلك سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه وعنهم جميعاً) .

ولو دعونا إلى ترك التكسب : لكنا داعين إلى أن يملك أقواتنا اليهود والنصارىٰ ، كما فعل أقوام أودعوا أموالهم في بنوك اليهود ، وعمروا بها أوروبا . فخربوا ديار المسلمين . إذ تحولت هذه الأموال إلى رصاص في صدور المسلمين .

وهذا من الشيء الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا عقلاء المؤمنين ، ولا مجانينهم أيضاً .

* * *

وأما قولهم : إن كلمة «تصوف» كلمة يونانية ، فإن كثيراً من الكلمات العربية : وافقت كلمات غير عربية ، ومع ذلك كانت كلمات عربية : [عربية صافية ، من أصل عربي] - استعملها العرب في كلامهم - ، ولم يعب عليهم أحد : أنها غير عربية .

ولكن الحق الذي يجب أن يعرف : أن هؤلاء الذين عابوا على التصوف اسمه ومعناه : تلوثت عقولهم بما بثه المستشرقون ومن لف لفهم ، وحشوا كتبهم بأقاويلهم .

بل وصل بهم الحد - حدِ السفه - إلى أن وصفوا بعضهم بأنه معتدل ، وأنه يمدح الإسلام ورسول الإسلام ، ويصفه وصفاً طيباً .

وما دري هؤلاء أن السم في العسل ، وأن أي مستشرق من هؤلاء - مهما كان اعتداله - إنما هو شيطان في صورة إنسان .

والمثل المنتشر عندنا : «ما يأتي من الغرب شيء يسر القلب» هو أصدق مثل في هذا المضمار .

وقد قال عبد الله بن مسعود عن النصارى واليهود : «. . . أنهم لن يهدوكم وقد ضلوا» .

وقال سيدنا عمر (رضي الله عنه) ، عنهم : «. . . كيف تصدقوهم وقد كذبهم الله ، وكيف تأمنوهم وقد خونهم الله» .

و [«قال العراقي - في مستخرجه على المستدرك ما نصه - :

لا يحل لطالب العلم أن ينقل عن المستدرك - من النسخ التي لا يوثق بها - حديثاً بصيغة . .

ولا نسخة يوثق بها حينئذ .

لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه أن ينسخ كتب العلم من ليس من أهل الملة» ا هـ] .

ومثل هؤلاء كثيرون من سلفنا الصالح ، فكيف نترك وصايا سلفنا ونتبع هذا الهوس الذي يذيعه من لا يعرف عن دينه شيئاً ، ويعرف كل شيء عن أوروبا وما

فيها ، حتى عن أزقة الخمارات وملاعب القمار .

* * *

أول من نشر عن ابن عربي (رحمه الله تعالىٰ) : أنه يقول بوحدة الوجود والاتحاد والحلول : المستشرقون أنفسهم : لحاجة في نفس إبليس : (لعنه الله ، ولعنهم معه) .

وإليك الدليل المادي القاطع في ذلك :

في حاشية ابن عابدين ـ في المتن ـ طبع المطبعة الأميرية جـ ٣ ص ٢٩٤ ما نصه :

« . . . وفي المعروضات المزبورة ما معناه أن من قال عن فصوص الحكم للشيخ محيي الدين بن العربي : أنّه خارج عن الشريعة ، وقد صنفه للاضلال ، ومن طالعه ملحد : ماذا يلزمه ؟ .

أجاب : نعم ، فيه كلمات تباين الشريعة ، وتكلّف بعض المتصلفين لإرجاعها إلى الشرع .

لكننا تيقنا أن بعض اليهود أفتراها على الشيخ (قدّس سرّه) .

فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات ، وقد صدر أمر سلطاني بالنهي ، فيجب الإجتناب من كل وجه انتهىٰ ، فليحفظ» اهـ .

ونحن نقول : هل يكون هذا اليهودي إلّا مستشرقاً ، أو تلميذاً لهم .

ومن الأدلة على أنه لا يقول بالاتحاد : ما قاله هو في هذه الرسالة التي قدمنا لها ، قال :

«مسألة : إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال . لأنه إن كان كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد : فهما ذاتان ، فإن عدمت العين الواحدة ، وبقيت الأخرىٰ : فليس إلّا واحد» .

وقال أيضاً : « . . . ومن هذا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق ، فقالوا : ما ثم إلّا ما ترىٰ ، فجعلت العالم هو الله والله هو نفس العالم ليس أمراً آخر ، وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله فلو تحققوا به ما قالوا بذلك ، وأثبتوا كل حقيقة في موطنها» .

وقال أيضاً : «لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية ، فإن المشاهد تمنع الجدال في الله وفي وحدانيته» .

ويقول أيضاً : «فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبداً من حيث الذات» .

ويقول : «فلو جمع بين الحق الواجب بذاته وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من الدثور ، وهذا محال ، فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم محال» .

هذا لفظه .

فهل تجد أيها الأخ المسلم : أصرح ، وأبين ، وأجلىٰ ، وأوضح في أنّه لا يقول بالحلول ولا بوحدة الوجود ولا بالاتحاد من هذا ؟ .

والمطالع لهذه الرسالة يرى بنفسه : أنه دفع الفلاسفة دفعاً شديداً أزالهم عن أماكنهم ، ودحضهم بالحجة والبرهان ، وطرح عقولهم تحت أقدامه (رضي الله عنه) .

علماً بأنك ستطالع في هذه الرسالة أيضاً وفي غيرها من كتبه التي سنخرجها إن شاء الله تعالى : ما يجلو العمى عن بصائر من يحبون الحق ويسعون له ، ولا يبالون بغيره ، وعن الإنسان الذي وضعوا على عينيه غشاوة وعلى سمعه غطاء حتى لا يسمع ولا يبصر إلّا ما يقولون له : «أنه صحيح أو غير صحيح» .

ومن أضل ممن الغى سمعه وبصره ليستعمل أسماع وأبصار اليهود والنصارىٰ ؟؟ فلا يرى إلّا بأعينهم ، ولا يسمع إلّا بآذانهم ؟؟ .

ولكن إذا أزيلت الغشاوة : أتضح الحق ، وانفضح الباطل ، وانخرقت سفنه .

والحمد لله ـ ليس لنا من غرض ـ إن شاء الله تبارك وتعالىٰ ـ إلّا أن ندعوا المسلمين جميعاً إلى وحدة الصف وكمال الرصف ، وأن يواجهوا المخاطر بقلب واحد ، مجتمع على الله تعالى ، وأيد متماسكة ، وأن يتركوا شتم بعضهم بعضاً ، وتكفير بعضهم الآخر ، فإن صاحب الملك سيحاسب كل فرد عما جناه .

ولا نعتقـد في كـل مسلم يشهـد أن لا إلـه إلّا الله وحـده لا شـريـك لـه وأن محمداً عبده ورسوله : إلا النجاة يوم القيامة.

وحساب الجميع على الله تعالىٰ .

وهو أرأف بنا وبهم من الوالدة على ولدها.

وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النـاشـــر

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله واهب الأسرار لأرباب المشاهدات بالأبصار ، القائمين بوظائف المجاهدات والأفكار ، مطالع الأنوار لأصحاب النظر والإستبصار ، من خلف حجاب العقول والأفكار .

فقيل في العلم على هذا التقسيم : «إنما : وهب باعتبار وكسب باعتبار»[٤] .

والعلم الوهبي : الذي لا يدخله كسب بوجه من الوجوه ، وهو العلم العزيز المقدار[٢] : هو ما أدّت إليه الجبلة الطاهرة الأصل والنشأة : عندما ترددت في عالم الإنتقالات في الأطوار .

وأنفلقت من عالم الأغذية إلى عالم التقديس والأظهار ، في أسعد دور يكون من الأدوار ، وأيمن طالع طلع في ليل كان أو نهار .

فخرجت النشأة الطبيعية على غاية الصفاء والاعتدال ، الذي أعطاه مكور الأكوار[٣] .

كما قيل في السيّد المصطفىٰ المختار :

---

(١) هكذا في المخطوطة ، و«وهب» بضم الواو مع كسر الهاء ، أو فتح الواو وسكون الهاء .

(٢) لأنه لا يوهب إلاّ لمن رضي الله عنه .

(٣) من قوله تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ .

«تخيرك الله من ادم ، فما زلت منحدراً ترتقي» .

فكان إنحداره في عالم الظلم والأغبار : تصفية ، وتخليصاً ، وتخليةً ، فبورك فيه من إنحدار .

وكان عين الترقي إلى مقام أقدس ، ونعت أنفس ، يعسر مدركه[1] على المجتهدين ، والنظار .

فكان المعتدل النشأة ، الحسن الهيئة ، والمرضي الخصال ، المحمود المناقب والآثار : صلّ الله عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأخيار ، ما حكم سلطان الزهر في الأزهار ، وما كانت «سيئات المقربين حسنات» الأبرار[2] ، وسلّم تسليماً كثيراً :

فصل

أما بعد : فإن للعقول حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة ، لا من حيث ما هي قابلة[3] ، فما لها لا تقف عند حدها[4] ؟؟؟ «فما هلك امرؤ عرف قدره»[5] .

١ ـ **مسألة** : أية مناسبة بين الحق سبحانه : الواجب الوجود بذاته ، وبين الممكن وإن كان واجباً به[6] ـ عند من يقول بذلك من القائلين بإقتضاء ذلك العلم السابق بكونه ـ وما أخذها الفكر به ، إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجوديّة . . . براهين «أن ولا بد من الدليل [و] المدلول» ، والبرهان ، والمبرهن عليه من وجه

---

(١) بفتح الميم وسكون الدال .

(٢) وهي دائمة أبداً لا تزول ، فهو يطلب صلاة وتسليماً على رسول الله (ص) دائمة ، ونحن نطلبها معه كذلك .

(٣) لأن الفكر لا يستطيع الإحاطة بكل شيء . إما أن يكون قابلاً للتفكير فهو أمر معلوم .

(٤) يريد بهذا ـ والله أعلم ـ أن العقل عند ذكر ما يتصل بالله تعالى ـ من قريب أو بعيد ـ يجب أن يقف عند حده ولا يتعدى طوره ، فإن مداره في الماديات فحسب .

(٥) ولذلك قالوا «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه» .

(٦) الواجب لذاته بذاته هو الله تعالى : والمخلوق عندما يوجد : إنما يكون وجوده واجباً بإيجاب الله له ، وهذا يقول به جماعة كما قال الشيخ (رحمه الله تعالى) ـ عند من يقولون به ـ والمقصود منها أن كل شيء خلق : هو ممكن لا واجب ، فإن واجب الوجود واحد ـ لا يتعدد ـ والضمير في قوله «به» راجع إلى «الحق» سبحانه وتعالى .

به يكون التعلق : «له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول» .

ولولا ذلك الوجه : ما وصل دال إلى دليل مدلوله أبداً .

فلا يصحّ أن يجتمع الحق والخلق : في وجه أبداً ، من حيث الذات ، لا من حيث أن هذه الذات منعوتة بالألوهية ، فهذا علم آخر يستقل العقول[1] بإدراكه ، لا يحتاج في ذلك إلى كشف بصري .

فكل معقول ـ عندنا ـ يكون موجوداً : يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده ، إلاّ الحق سبحانه ، فإن شهوده يتقدم على العلم به : من حيث الذات ، لا من حيث الإلٰهية ، فإن الإلٰهية في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم .

فالإلٰهية : تعقل ، ولا تكشف ، والذات تكشف ولا تعقل[2] .

وهذا البحر بحر ، لا ساحل له ، من وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه ، فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات ، فلا سبيل إلى الخوض فيه[3] .

وكم من متخيل ممن يدعي العقل الرصين من العلماء القدماء : يظن أنه يسبح في هذا البحر ، وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة ، بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده ، لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات[4] .

فالإثبات راجع إليه ، لأنه : ما ثبت إلاّ ما هو عليه في نفسه .

ففي نفسه يتكلم ، وعلى عينه يدل ويبرهن .

والحق وراء ذلك كله .

---

(١) بفتح العين : أي يستعمل عقله استعمالاً صحيحاً .

(٢) لأن الإلٰهية ثابتة لله تعالى ، حتى ولو لم يخلق خلقاً ، وهذا من جهة العقل ، وذات الله لا يحدها حد ، ولا يستطيع أن يحيط بها عقل ، ومعنى أنها تكشف ـ والله أعلم ـ أن أي شيء يعرف أن لهذا العالم إلهاً مدبراً ، ولكن ذات الإله : لا يعرفها أحد .

(٣) وهذه الجمل نهديها للذين يتهمونه بوحدة الوجود .

(٤) يعني : أن هذا الإنسان الذي يسبح في هذا البحر : إنه يسبح في بحر عقله هو ، لأن الذي يتكلم فيه : أما نفي أو إثبات ، والذين يسبحون في عقولهم هم الفلاسفة .

والسلب راجع إلى العدم ، والعدم : نفي الإثبات .

فما حصل لهذا المفكر المتردد بين السلب والاضافات من العلم بالله شيء .

هيهات : فزنا ، وخسر المبطلون .

إني للمقيد بمعرفة المطلق[1] بذاته ؟ لا تقضيه ، ولا رائحة له منه .

وكيف للممكن أن يصل الى معرفة الواجب بالذات ؟ وما من وجه للممكن إلاّ ويجوز عليه العدم والدثور.

فلو جمع بين الحق الواجب بذاته ، وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من : الدثور[2] ، وهذا محال .

فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم : محال .

٢ ـ **مسألة** : لكني أقول : إن للإلهية أحكاماً [فإن كانت حكماً][3] ، وفي ضوء هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة ، حيثما كانت ، فأقول بالحكم الإرادي .

لكني لا أقول بالاختيار ، فإن الخطاب بالاختيار : للتوصل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان ، كأحاديث التشبيه وأمثالها .

وإن كان له مدخل صحيح من وجه : ذكرنا .

لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده .

٣ ـ **مسألة** : فأقول على ما أعطاه الكشف الاعتصامي[4] : «إن الله كان ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان»[5] في الحكم ، والآن .

---

(١) المقيد هو الإنسان ، والمطلق هو الله تبارك وتعالى .

(٢) الاندثار والهلاك والزوال ، وحاشا لله تعالىٰ .

(٣) ما بين القوسين هكذا هو في المخطوطة ، ولعل هنا سقطاً .

(٤) أي الذي أعتصمنا به من الخطأ والزلل ، والله أعلم .

(٥) في كتاب «إستحالة المعية بالذات» للشنقيطي بعد كلام كثير : ما نصه : «. . . ذكر بعض العلماء أنه من حديث أوله «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» قال ابن تيمية هذا الحديث موضوع ، وتعقبه في فتح الباري» قائلاً : إن لفظ «ولا شيء معه» : رواية البخاري : «كان الله ولم يكن شيء غيره» بمعناها ، فليست موضوعة .

=

وكـان : [أمران عـائـدان علينـا][1] ، إذ بنـا ظهـر ، وأمثـالهمـا . وقـد انتفت المناسبة بظهور حكم الواحد عليه من وجهين مختلفين .

يـا واهب العقـل أعميت البصـائـر عن مدارك الكشف : فارتـدت على العقب
إن أنصفـت تـركت أفكـارهـا وأتت فـقيـرة : تـستـمـد الـعـلم بـالأدب
فيضـاً على قـائـل فـإن : سجيتـه ذكيـة[2] من ضـروب الشـك والـريب
قـامـت عـلى قـدم الأجـلال آخـذة جـواهـر العلم في حق مـن الـذهب
وآخـذهـا بـصـري : أو بصيـرتهـا مشحـونـة الـذات في بيت من اللهب
فمـا لهـا من وجـود الحق معتمـد سـوى التعليـل بـالعـلات والـسلب
لكن لهـا الحكم بـالتمثيـل يعضـدهـا عـوالم الحس بـالأرفـاد[3] والعـطب[4]

والقول عليه : «كان الله ولا شيء معه» إنما هي في الألوهية : لا الذات من حيث وجودها ، فتحقق .

وكـل حكم ثبت في باب العلم الإلهي للذات : إنّما هـو لحكم الألـوهيـة ، وهي أحكـام كثيـرة ، هي : نسب[5] واضـافـات ، وسلوب : تـرجـع إلى عين واحدة .

= قلت : وهي أيضاً عين رواية مسلم «كان الله ولم يكن معه شيء» ، وكذا رواية نافع بن زيد الحميري : «كان الله لا شيء غيره» بغير «واو» ، والجملة الأخيرة ، وهي : «وهو ما عليه كان» معناها قطعي الثبوت ، لأنه إذا لم يكن على ما كان عليه أزلاً : كأن انتقل من مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، وهو وصف الأجرام المستحيل إتصافه به تعالى بالدلائل العقلية والنقلية .

فإذا سلمنا أن اللفظ موضوع ، فالمعنى ثابت : شرعاً وعقلاً ، وهو المنشود ، وأظن أن ابن تيمية قصد بجعل هذا الحديث موضوعاً : تقوية مذهبه الذي هو حوادث لا أول لها لصراحة هذا الحديث في الرد عليه ، ولم يحصل له غرضه ، لكون الجملة الأولى منه ثابتة اللفظ والمعنى ، والأخيرة ثابتة المعنى» ا هـ منه ص ٣٦٨ .

أقول أنا كاتب هذه السطور : ولعل من الأسباب التي جعلت المتيميين يتحاملون على الرجل - ابن عربي - مخالفته لمذهبهم في الجلوس على العرش والنزول والإستواء ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

(١) ربما كان يقصد - والله أعلم - مدلول «كان» في أول الحديث ، و «كان» التي في آخره .

(٢) مطهـرة .

(٣) الإعطاء والصلات ، من الرفد ، فكسر الراء المشددة .

(٤) الإهـلاك .

(٥) بكسر النون المشددة ، وفتح السين .

ثم تعدد من حيث الآنية والهوية .

وإنما تعدد من حيث الحقائق الامكانية ، والفهوانية [1] .

فالكثرة في العالم : حكماً وعيناً [2] .

وهنالك : حكماً لا عيناً ، ونسباً [3] : لا حقيقة .

وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين [4] حيث حكموا بمن يقبل التشبيه : على من لا يقبل التشبيه .

واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة ، كالدليل ، والمدلول ، والحقيقة ، والمحقق .

وهذا : لا يليق بالذات .

لكن تقبله : الألوهية ، وترده من وجه ، فالتزمت طائفة وجه القبول ، والتزمت طائفة أخرى : وجه الرد ، فوقع بينهما [5] ، وقال كل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه .

والألوهية تحكم بالاصابة للفريقين [6] .

وسبب اختلافهم : حبسهم في دائرة الفكر : لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول ، وهي أطوار : الولاية ، والنبوة .

حسب العقول : التسليم لما يأتي به هذان الصنفان : أن أنصفت [7] .

---

(١) قال في القاموس : «وأفهى» : قال رأيه» ا هـ .

والمقصود هنا ـ والله أعلم ـ أن هذه التي يقولون أنها حقائق : إنما كانت حقائق عن طريق القول بالرأي : تثبت ولا تثبت .

(٢) يعني تراها رأي العين .

(٣) بكسر النون وفتح السين .

(٤) المقصود بهم ـ والله أعلم ـ فلاسفة المسلمين ، وفيه دليل على : أنه لا يرى رأي الفلاسفة ، كما أدعى كثير من المستشرقين والمستغربين .

(٥) «فوقع بينهما» بضم الواو وكسر القاف ، أي هذا الذي قالوه أوقع بينهم الشقاق والخلاف والشر .

(٦) وقد حقق وجه الإصابة قبل ذلك بأسطر ، فتأمل .

(٧) والمقصود ـ والله أعلم ـ أن عقولهم يجب أن تسلم .

وإن لم يـوف الفكر حقـه ، وصحبها التقصيـر والعمى : ردت الأخبار النبـوية والكشـوفات ، وألحقتهـا بالخيالات الفاسـدة ، لمنـاقضتهـا الأدلـة التي قـامت عنـد الخصـم فيم يزعم[1] .

وهو المخطىء في كـونه اعتمـد دليلاً : مـا ليس بدليـل . فإن هـذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة .

لكن : ليس كل ما يتخذه العقل دليـلاً هو دليـل ، لأن غلطه كثيراً[2] ، وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء !!

وهـذا النبي من جملة العقـلاء ، بـل أجـل العقــلاء ، وأكملهم عقـلاً ، ولم يخل ذلك الذي أتى به دليله ، بل دله العقل على إمكانه .

فالتسليم أولىٰ بمن لم يذق مدارك الكشف ، ولا ظهر له سلطان فيها .

فلو انصفـونا من نفـوسهم ، وسلموا لهـذين الصنفين[3] أحـوالهم لسعـدوا في الدارين ، واستفادوا .

ولكن مــا نعتهم من ذلـك : «آخـــر مـا يخـــرج من قلوب الصـديقين : حب الرئاسة»[4] .

مسـألـة : وإذا ثبت مـا ذكـرنـاه وتقـرر ـ وإن قصـرت أفهـام أهـل الفكـر عن إدراكه ـ فلنقل : مخاطباً أوليائنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا[5] :

إن علومنـا غير مقتنصة من الألفـاظ ، ولا من أفـواه الـرجـال ، ولا من بـطون الدفاتر والطروس .

بـل علومنا عن تجليـات على القلب ، عند غلبـة سلطان الوجـد وحالـة الفناء

---

(١) يعني إذا عجزوا عن إثبات الأمور التي يريدون إثباتها : ردوا ما جاء به الرسل وما يكشف الله لأوليائه من الحقائق ، وقالوا : إن هذه خيالات لا يقبلها العقل ، وبذلك حكمو عقولهم فيما لا حكم لها فيه .

(٢) أي العقــل .

(٣) الأنبياء والأولياء .

(٤) أي أن حبهم للرئاسة هو المتمكن في قلوبهم ، فلا يخرج منها ، وهو الداء العضال .

(٥) المدرجة : الطريق .

بالوجود ، فتقوم المعاني : مثلاً وغير مثل : على حسب الحضرة التي يقع التنزل فيها .

فمنها ما يقع من باب المحادثة .

ومنها ما يقع من باب المسامرة ، ومن باب ما يُقال ، ومن باب ما لا يُقال[١] .

٤ ـ **مسألة** : والوهب الإلهي : كله يُقال[٢] ، وتأخذه العبارة ، وتبسيطه .

غير أنه قد يقترن به أمر الإفشاء في وقت ، وأمر الكتمان في وقت[٣] .

وقد يسكت عنها إبتلاء في حقنا ، لنلزم الأدب ونحفظ الأمانة ، ولنقوى في علم المواطن التي توجب الإفشاء والكتم ، فيغني التحقق في ذلك : عن ورود الأمر والإفشاء والكتم .

والعلة في كون الألوهية (تُقال) : لأنها حكم مقتنص بالدليل الكوني المألوف ، ولا بد من وجه جامع يربط الدليل بمدلوله .

فمن هناك : صح أن يُقال : «التجلي الإلهي» .

والتجلي الذاتي : لا يُقال البتة ، لكن يشهد .

وإذا شوهد : لا ينضبط .

ولا يشهده إلّا الخاصة .

وليس في الكون طريق إليه ينال به ، فإنه تعالىٰ عن أن يدرك بالسعايات ، لما ذكرناه من الإرتباط .

فهو اختصاص مجرد ، وليس جزاء ، وهو : الزيادة على الحسنىٰ[٤] .

(١ ، ٢) في المخطوطة «ما ينقال وما لا ينقال» .

(٣) يعني لكل وقت ما يصلح له .

(٤) من قوله تعالىٰ : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ٢٦ من سورة سيّدنا يونس (عليه الصلاة والسلام) ، روى الإمام مسلم والإمام أحمد وجماعة من أئمة الحديث أن رسول الله (ص) : تلىٰ هذه الآية ، وقال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : نادى مناد : يا أهل الجنة : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو : ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار ـ قال ـ فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون =

٥ ـ مسألة : وإذا ثبت ما ذكرناه ، فكل ما وقفت عليه في كتبنا أو كتب أصحابنا : مما يجري هذا المجرى ، فهو ممّا ذكرناه ! فما دون[١] .

فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ، فإن حجاب العزة أحمى[٢] ، وهو بحر العمى .

من هذا البحر : أتصفنا بأوصاف الربوبية من : القدرة ، والقهر ، والرحمة ، والرأفة ، وجميع الأسماء التي يتخلق بها ، وهي حق الألوهية .

كما أتصفت الألوهية من هذا البحر بما هو حق لنا من : التعجب ، والتبشبش ، والضحك ، والفرح ، والمعية ، والاينية . وجميع النعوت الكونية[٣] .

فإن سعيت في تخليص ذاتك من يد حجابك ، وتحريرها من رق الكون : أطلعت على الحكمة التي لها قبل هذه الأوصاف، التي وصف بها نفسه ، في كتبه وعلى ألسنة سفرائه ورسله (ع) ، وعلى الحكمة التي لها : قبلنا هذه الأوصاف الربانية التي وصفنا بها ووجدناها نحن في ذواتنا .

وهل القبول لما ذكرناه حقيقي . أو مجازي ؟ وذاتي أو عرضي ؟ وحكمي أو حكمي[٤] .

= إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم» .

وروى ابن جرير قوله (ص) : «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة ـ بصوت يسمع أولهم وآخرهم ـ إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن عزّ وجلّ» .

راجع ابن كثير وغيره من التفاسير تجد فيها كثيراً من الأحاديث في هذا الباب .

(١) بمعنى : أقل .

(٢) أي أعز وأقوى من أن يتقحمه متقحم .

(٣) من مثل قوله (ص) : «عجب ربنا من قوم يقادون لى الجنة في السلاسل» رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود وغيرهم . والقصد من هذا أن الله سبحانه وتعالى عبر بهذه الكلمات لأننا نحن المخلوقين : لا نستطيع أن نفهم إلاّ عن هذا .

واتصافك أنت المخلوق بما أتصف به ربّ العزة : تصاف مخلوق : عندما تزول تزول منك هذه الصفة أو من الممكن أن تزول منك وتتصف بأخرى مضادة لها ، والله تعالى منزه عن ذلك . وإنما خاطبك بها : لأنك لا تعقل غير ذلك ، فأنت مخلوق مقيد ، ولا تفهم إلاّ الفاظاً مقيدة . والله تعالى أعلم .

(٤) الأولى : بضم الحاء وسكون الكاف ، من الحكم . والثانية بكسر الحاء وسكون الكاف : من الحكمة .

٦ ـ **مسألة** : أنظر ـ وفقك الله ـ من أردته ، لن تصل إليه إلاَّ به .

ومن أراد أن يصل إليك [لم يصل] إلاَّ بك ، فانظر الباعث الداعي لنزولك عليه ، أو نزوله عليك : هو معدن الحكمة الموجبة : عين المناسبة بينك وبينه .

وانظر : هل يصح هذا في الحضرة الذاتية : تجد ذلك محالاً .

٧ ـ **مسألة** : الإفتقار : موجب النزول بلا شك ولا ريب ، والإفتقار على الذات محال ، فالنزولُ محال(١) ، ولْنغض العين عن بسط هذا المدرك ، فإنه بحر مهلك .

وإن كانت سواحله بادية ، لكن موجه عظيم ، ودوابه مؤذية [وسفينته](*) ولا يقع فيه الاقالة .

لكن الغريق فيه : ناج سعيد ، والناظر إليه [من سيفه : المنشق عليه من هوله : ناج محروم](٢) ، وهم الأكثرون .

فالمؤمنون : كثر ، وعاملوا الصالحات قليلون .

هذا ـ وفقكم الله ـ وقد ذكرنا طرفاً مما تستحقه الذات والحكم الإلهي ، وفرقنا بينهما بالوجوه التي تقتضيه كل حضرة منها .

٨ ـ **مسألة** : المتوجه على إيجاد كل ما سوىٰ الله تعالى : إنما هي الإلهية ، وأحكامها ونسبها(٣) واضافاتها : المعبر عنها بالأسماء والصفات ، وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها .

إذ : قاهر بلا مقهور ، وقادر بلا مقدور ، وراحم بلا مرحوم ، وخالق بلا مخلوق ، إلى جميع الأسماء الإضافية : لا يصح ، بل لأنه منه صلاحية من حيث الإمكان مقهور .

---

(١) أي النزول المعروف لنا ، لأنه بحركة وجسم وإلى جهة ، والله تبارك وتعالىٰ : يتعالى عن هذه الصفات لأنها صفات المخلوقين .

(*) هكـذا هي .

(٢) هي هكذا في المخطوطة ، والمعنى : مع أن السيف قائم على رأسه لكنه ينظر إلى ذي الجلال والإكرام ، فهو ناج إلاَّ أنه محروم من الإمدادات الإلهية مع الحفظ ـ والله تعالىٰ أعلم ـ وقد فسر كلامه بعد (رحمه الله تعالىٰ) .

(٣) «نسبها» بكسر النون وفتح السين .

فالقاهر بالصلاحية .

فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل .

وأن يتصور البينية بين الحق والموجود الأول ، فمتى يتصور وجود الأجسام وما تحمله من المعاني : بينها وبينها ، لا بين الحق وبينها ، لوجوه قد ذكرها الناس ، لا يحتاج إلى ذكرها ، لتداولها بين أهل هذا الشأن[1] والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة ، وتعلق القادر بالمقدور : لا يعلم البتة : كشفاً ولا بالدلائل : إذ القدرة الحادثة عند مثبته ، ممن سلم نظره في إثباتها ، لا أثر لها ، فلا تعلق لها ، فمن أين له معرفة التعلق ؟ .

وكذلك الكشف .

وما عدا هذا الوصف الخاص ، الذي به وقع الإمتنان ـ عند المحققين منّا ـ بين الخلق والحقّ ، فمدرك بالدليل وبالكشف .

٩ ـ مسألة : فأول موجود ظهر : [مقيد فقير] موجود يسمى «العقل» ويسمى : «الروح الكلي» ، ويسمى «القلم» ، ويسمى : «العدل» ، ويسمى «العرش» ، ويسمى «الحق المخلوق به» ، ويسمى «الحقيقة المحمدية» ، ويسمى «روح الأرواح» ، ويسمى «الإمام المبين» ، ويسمى : «كل شيء» .

وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه .

وهو على نصف [الصورة المعلومة][2] عندنا : سمعاً وكشفاً في وجه آخر : على حسب ما يقع تجليه ، لأن العالم كله على الصورة ، والإنسان من العالم على صورة العالم ، فهو على الصورة ، والروحانيات : أقوى على الكمال من عالم الأجسام ، لاستعدادهم الأكمل .

ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية في الطبع ، فمنهم من وصل فكمل ، ومنهم من لم يصل لموانع عرضيّة وأصليّة في هذه الدار .

وأما في الدار الآخرة ، فالكل يصل اليها ، ويقع الامتياز بينهم بأمور أُخر : ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها .

---

(١) وهم ما يعبر عنهم بـ «المتكلمون» .

(٢) في المخطوطة «الصورة والمعلومة» .

فلما أوجد هذا الموجود الأول : ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهية ثلاثمائة وستون وجهاً .

فأفاض الحق تعالىٰ عليه من علمه علىٰ قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبول .

فكان قبوله : ستة وأربعين ألف ألف نوع ، وستمائة ألف نوع ، وستة وخمسين ألف نوع .

فظهرت لهذا العقل أحكام بعدها لا غير ، ونشر منها في كل عالم بما يستحق : [نشر إضافة ، لا نشر اختيار] فإن وجوهه مصروفة إلى موجده ، والعالم يستمدون من ذاته بحسب قواهم ، كقبول عالم الأكوان لنور الشمس من غير إرادة للشمس في ذلك ، وهو الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي .

وذلك راجع لنفس المفيض .

ألا ترون إلى فيض العالِم[1] كلامه على الأسماع : إرادي ، لأن له الإمساك عنه .

فإذا ظهر عين الكلام في الوجود ففيضه على الأسماع : ذاتي لا إرادي .

فتحقق هذا ، فهو هنا كذلك .

فالجميع بين الفيضتين هكذا يكون .

فلاحظت طائفة فيض المفاض ، فقالت بالفيض الذاتي .

ولاحظت طائفة فيض المفيض ، فقالت بالفيض الإرادي .

فكل واحد يخطىء صاحبه ، والإلهيّة تصوب قول كل طائفة[2] .

ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السماوات والأرض ، الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلىٰ باليمين الأقدس الجاري بالكائنات ، رأس عالم الأمر الرباني المخصوص بإضافة الشريف الفياض ، الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات والأعراض ، قابل التحولات ، لكنه لا يقبل الأعراض : ليس بمادة ، ولا يقبلها ،

---

(١) بكسر اللام .

(٢) سيشرح هذه الكلمة بعد قليل .

صدرت عنه شريفة لطيفة أودعها بضرب من الإقبال أرواحاً تناسبها في اللطافة ، فكان الملأ الأعلىٰ : عالم الأمر والتسخير ، ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الإلتحام الإلهي ، والإقبال الرباني .

١٠ ـ مسألة : [وأما قبول هذا العقل][١] ما لا يتناهى من العلوم قبول ذاتنا : ظهر بصورة الغنى ، فأنحجب عما يجب عليه [من][٢] الإفتقار للحضرة الإلهية ، فإن الغنى لا يدخلها للذات التي تقتضي ذلك ، ولحكم الغيرة ، فاشتغل بالنفس اشتغال تعشق ملكي ، وسلطنته عظمى ، ومملكته كبرى .

ولهذا العقل فيض ذاتي ، وفيض إرادي .

كماله : قبول ذاتي : وقبول إرادي .

وهكذا الكل موجود ، وما من موجود من الموجودات كلها عن سبب إلاّ وله وجهان :

وجه يقابل سبباً ويأخذ عنه ، ويظهر لسببه عزة في إفتقاره إليه من ذلك الوجه .

ووجه آخر : يقابل به بارءه عزّ وجلّ .

فتارة ترد عليه بالأحكام الإلهية من طريق سببه ، وعلى يديه ، وتارة يدعوه من الوجه الخاص[٣] .

فإذا دعاه من الوجه الخاص به : لم يبق للسبب عليه سلطان ، ولا يعرف أين ذهب ، فيحكم عليه الذل والإفتقار إلى الله تعالى ، فيكون له التجلي ، فقبض النفس الله سبحانه وتعالىٰ ، ودعاها من الوجه الخاص .

ففقدها العقل من حيث الفيض الإرادي ، ولا يقبل الفيض الإرادي إلاّ القبول الإرادي ، فرجع العقل فقيراً إلى موجده ، فوجد الباب قد غلق دونه من حيث الاسم الخاص به ، فوجد الاسم «القدوس» قدحكمه الحق عليه ، فدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه ، فلما حلاه عند ذلك : خدم ودخل بعد بساط الحضرة ، وافتقر .

---

(١) المخطوطة «وأما قبول هذا العدل» .

(٢) ليست في المخطوطة ولا بد منها .

(٣) وهذا شرح قوله سابقاً «والإلهية تصوب قول كل طائفة» والله تعالى أعلم .

وهذا كـــان المراد .

ولما كان لكـل موجـود ـ مما سـوى الحق تعالىٰ ـ وجه إليـه سبحانـه : صح له أن يتصف بالفقـر إذا صرف وجهـه إليه بـالمعنىٰ ، إذا صرف وجهـه إلى الكون ، وهو متحقق لوجه الحق منه .

ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه ، وشهود ذلك الغير لم يكن للمعنى إليه طريق ، وكان فقيراً محضاً .

١١ ـ **مسألة** : ومن ذلـك الـوجـه الخفي : ظهـرت الآثـار عن المـوجـودات بأسرها : علوها وسفلها ، بسيطها ومركبها ، حيوانها ونباتها ومعدنها .

ثم اختلفت أنواع التأثيرات ، فمنها أثر يقترن به عن بر ، ونية .

ومنهـا أثر تعـطيه ذات المؤثـر ، لا يقترن مـع إرادة ، كتأثيـر الأدويـة المسهلة والقابضة ، وشبه ذلك .

ومنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً .

ومنها آثار تكون في النفس ، لقيام أثـر آخر مـوجود فيهـا ، كشخص أبصر في مـدرجته[1] دينـاراً ، فأعلم[2] أن للدينـار أثراً في نفسـه ، فـإن تقـوى ذلـك الأثـر : حركت النفس الجسم لأخذه ، فالحركة الأصلية للدينار ، والبواعث لذلك تتنوع .

فباعث الطبع في ذلك لنفاسة جوهرية الدينار ، وخاصية الذهب .

وباعث العامة للحاجة إليه ، من غير تأمل إلى الجوهر .

وبـاعث الصادقين من الـزهـاد الـورعين ، لمـا عليـه من اسم الله . وبـواعث المحققين : لهذه كلها وزيادة .

ولمـا كانت هـذه البواعث : محلهـا النفـس : كانت النفس في هـذا الأمر هي المؤثـرة في ذاتها ، لكن ، لا يـظهر فيهـا مثل هـذه الآثار إلاَّ بـوجـود هـذه الأعيـان الخارجة .

١٢ ـ **مسألة** : وهذا الوجه الذي ذكرناه : لا يكون أثراً للألوهيـة ، لأنه بـذلك

---

(١) المدرجة : الطريق .

(٢) بضم الهمزة وسكون العين .

الـوجه ظهـرت هذه الآثـار عن الأكوان كلهـا في الأكوان ـ ﴿وقضىٰ ربـك ألا تعبدوا إلاَّ إياه﴾[1] قضاء صحيحاً ﴿وإلهكم آله واحـد﴾[2] ، فلولا هذا السريان الـدقيق ، والحجاب : العجيب الرقيق ، والسر الأخفىٰ : ما عبـدت الألوهيـة في الملائكـة[3] والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانـات والنبات والأحجـار والأناسي ، إذ الألـوهية هي المعبـودة من الموجـودات ، فأخـطئوا في الاضـافة من وجـه لا غيـر[4] ، ولكن كـان في ذلك الـوجه سعـادة ، والحق تحقق ذلك الـوجه ، ووقـع الخـطأ من جهـة العقل ، لا من جهة الحكم ، فـإن النظر الإلهي : كـان تمكنه من هؤلاء المعبـودين أكثـر من غيره ، فـربط الآثار بهم ، فـظهرت عنـدهم ﴿ليضل من يشـاء ويهـدي من يشاء﴾ .

وربما رفعت طائفة عن مدرج[5] نسبـة الألوهيـة لهم مطلقـاً ، ولحظت الـوجه الخفي ، فقالت : ﴿مـا نعبـدهم إلاَّ ليقـربـونـا إلى الله زلفى﴾ فـاتخـذوهـم حجبـة ووزراء ، نعـوذ بالله ، ولكن هي أشبـه من الأولى ، ولو رأت هـذه الـطائفـة : هـذا الوجه من أنفسهـا : ما عبدت ألوهية في كون خارج عنها ، بل كانت تعبد نفسها .

ولكن أيضاً لتحققها بها ، ووقوفهـا مع عجـزها ، وقصـورها وإيـلافها[6] : لم يتمكن لها ذلك ، ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودية ألوهية في كون بعينه .

ومحصـــول مـا قلنـــاه : أن الألـوهيـــة هي المعبـودة على الإطـــلاق ، لا الأكوان .

ولهـذا قال تعـالى : ﴿وإلهكم آله واحـد﴾[7] ، ﴿وقضىٰ ربك ألاَّ تعبـدوا إلاَّ إياه﴾[8] وقضاؤه غير مردود .

ومن وقف على هـذه الوجـوه الإلهيـة من الأكـوان ، فـلا يصـح تعبيـده كـون أصلاً .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٣ .
(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٣ .
(٣) لأن قوماً عبدوا الملائكة واتخذوهم آلهة للبواعث النفسية التي ذكرها آنفاً .
(٤) فانهم عبدوا إلهاً ، تألهوه هم وأخطئوا الإله الحق تبارك وتعالىٰ .
(٥) المدرج : بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء : الطريق
(٦) لأنها ألفت ذلك .
(٧) هذا للمؤمنين ، وأما المشركون ، فعلىٰ الضد : يعبدون آلهة كثيرة .
(٨) والخطاب هنا أيضاً موجه للمؤمنين .

ومن لم يعرفها ولا شاهدها : تعبده وجه الحق في الكون ، لا الكون .

وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك[1] .

١٣ ـ مسألة : واعلم أنه ما من معبود إلّا ويتبرأ من الذي يعبده هنا ، من حيث لا يسمع العابد إلّا بخرق العوائد ، وفي الدار الآخرة : على الكشف ، قال تعالى : ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾[2] وتبرؤهم منهم : أن يقولوا : ما عبدوا غيرك ، فلم نكن بمعبودين لهم : خوفاً من العقوبة ، ولكنه أضافوا[3] ، فيقال لهم : صدقتم ، لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة ، وإن اقتضت الحقائق ، فأخذناهم بالعمى ﴿**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً**﴾[4] فهم مصروفون في الدنيا والآخرة عن هذا القدر من العلم .

ثم إن أخذ الحق تعالى لهم : من باب مظالم العباد ، لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم[5] ، فكان أخذه : عدلاً : إقامة لحق الغير ، وعقوبة للجاهل ، حيث لم يستبصر واتبع هواه ، فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق ، وألا نعفوا فيما يرجع إلى حقه[6] وهو أولى بهذه الصفة[7] ، فلذلك كان الشرك من مظالم العباد ، لا من حقه الذي يرجع إليه .

والمعبودون : منهم سعيد[8] ومنهم شقي .

---

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولعلها «المشرك» .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٦ .

(٣) الإضافة هنا : بمعنى أنهم قرنوا مع الله شريكاً . كما كانت العرب تقول في طوافها حول الكعبة «الا شريكاً هو لك : تملكه وما ملك» فهم في زعمهم ـ يعبدون الله تعالى ، ولكنهم أخطأوا في العبادة ، فاتخذوا شريكاً يقربهم إليه ، كما قالوا ﴿**ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ فهم ما أنكروا الألوهية ، وإنما ضلوا الطريق الصحيح إليها ـ والله تعالى أعلم .

(٤) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧٢ .

(٥) كما نسبوها للعزيز ، وعيسى (عليهما الصلاة والسلام) .

(٦) يقصد الشيخ (رحمه الله تعالى) أن الله سبحانه وتعالى طلب منا أن يعفوا بعضنا عن بعض قبل القصاص في الآخرة ، فلا يحارب بعضنا بعضاً ، بل نغفر ونتسامح ، وأما مع المشرك الذي أشرك مع الله إلهاً آخر ، فلا .

(٣) أي ألا يغفر لهم .

(٨) السعيد كالملائكة ، وعيسى ، والعزيز : (عليهم الصلاة والسلام) والشقي كالفراعنة . ومن جعل نفسه إلهاً .

فالسعيد ناج ، والمثال الذي اتخذوه معبوداً على صورته[1] : يدخل معهم النار ، ولولا قوله : ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[2] لكان في قضية ما مقال في زوال الآثار الإلهيّة عمن عبد في الآخر ، فإنهم ما عبدوا إلاّ الفاعل المؤثر .

وهنا بحور طوامس[3] .

١٤ ـ **مسألة** : فإن الألوهيّة تقتضي : أن يكون في العالم ذو بلاء وعافية ، وإلاّ فليس(*) المنتقم منه من الوجود ، بأولى من ضده .

ولو نفي من الأسماء(**) اسم لا حكم له ولا أثر : لكان ما يقتضي له الحكم معطلاً .

وهذا محال .

فالممكنات كلها : على موازنة الأسماء المؤثرة الإلهيّة ، وما عدى هذه الأسماء المؤثرة من أسماء الذات ، فليس بأيدينا منها شيء ، إلاّ ما يرجع إلى السلوب والنعوت ، وبعض أسماء الكمال ، كالبصر ، والسمع ، فلا تعلق لهما بالممكنات من حيث الأثر[4] ، فاعلم ذلك .

١٥ ـ **مسألة** : عجبت من طائفة تعدت طورها ، وتجاوزت حدها ، فجعلت نفسها أعرف بالله من الله بنفسه ، فقالت : أعوذ بالله من التشبيه .

وقالت أخرى : أعوذ بالله من تنزيه يؤدّي إلى تعطيل .

ووقفت المتعوذة من التشبيه .

---

(١) لأنهم اتخذوا للملائكة صوراً ولسيِّدنا عيسى من الأحجار وغيرها ، فالصور التي صنعوها من الأحجار : تدخل معهم النار ، ولكن ، لا للتعذيب ، وإنما لكيهم ، وتعذيبهم هم بها .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٢٣ .

(٣) تطمس من دخلها : فلا يظهر له أثر .

(*) هنا كلمة لا تقرأ .

(**) في المخطوطة «من السماء» .

(٤) يعني أن السمع والبصر لا يؤثران في المخلوقات ـ وإنما تعلقهما تعلق إحاطة ـ والمؤثر من ناحية الإيجاد والإعدام ، والرزق ، والتقدير ، وغير ذلك هو : القدرة ، لا السمع والبصر ، والله تعالى أعلم .

فلو وفت العلم حقه لتعوذت من تنزيه العبد نفسه : تعوذها من التشبيه :
[و][1] سلمت قول القائل :

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه   فكان بلا كون ، لأنك كنته

وسلّمت قول الآخر : «سبحاني» و «أنا الله» وأمثال ذلك[2] .

هذا وإن كانت طائفة قد كفرت القائلين هذه الألفاظ ، وطائفة تأولت لهم ذلك ، كما تأولت أخبار التشبيه ، فكل منا مع من تأول أخبار التشبيه ، وما تأول هذه الألفاظ ، فإنّها تعوذت من التشبيه ، ثم نزهت ، وصرفت الأخبار عما تعطيه ظواهرها ولم تتعوذ من التنزيه في حق الخلق .

وحينئذٍ : كانت تثبت ما يليق بالحديث ، بصرف ما قالوه بما يليق بالحق عندهم ، إلى ما يناسب الكون ، إذ الألفاظ قابلات لصور المعاني ، فتقبل المعنى والاثنين فصاعداً .

وتلك الألفاظ المشتركة ، وليس التنزيه في هذه المسألة بأولى من التشبيه .

عميت البصائر عن إدراك غوامض الأسرار ، وما تعطيه الألوهية .

ثم إن العجب كل العجب من هذه الطائفة : هربت من التشبيه إلى التشبيه ، وجعلت ذلك تنزيها ، فضحك العقلاء لجهلهم فيما أتوا به ، فأنهم ما عدلوا من التشبيه إلاّ إلى ما في نفوسهم من المعاني المحدثة ، فانتقلوا من ظواهرهم إلى معانيهم المحدثة القائمة بهم ، فهربوا من التشبيه بهم إلى التشبيه بهم ، وسموا هذا العدول : تنزيهاً ، فنفوسهم نزهوا ، أن حملوها على المعاني الإلهية .

والحق شبهوا : أن حملوه على المعاني النفسية ، وما لهم قدم يجول في غير هذا .

فلو رجعوا إلى محل التحقيق إذ حرموا الكشف ، وقالوا : الحق سبحانه أثبت لنفسه هذه الأحكام في كتبه وعلى ألسنة رسله وسفرائه ، والذات مجهولة عند الخلق كلهم - أي لا تعلم - وهذه أحكام الذات عندنا . والجهل بالحكم

---

(1) ليست في المخطوطة .

(2) لأن هؤلاء : نطقوا بهذه الألفاظ في حال غيبة : حتى عن أنفسهم .

أقرب من الجهل بالذات ، إذ لا يعرف نسبة هذا الحكم لهذه الذات المحكوم عليها به ، حتى تعرف هي في نفسها ، ولا معرفة بها ، فلا معرفة بنسبة الأحكام لها ، فكانوا لا يشبهون ولا يعينون حكم تنزيه بعينه ، بل يسلموا علم ذلك لمن وصف بها نفسه ، وهو الله تعالى .

وقد روى عن بعض السلف[١] أنه سئل عن معنى الاستواء على العرش ، فقال : «الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

فنحن - ومن جرى على طريقتنا من أهل العلم الذوقي المشهود - لانسلك هذا المسلك البتة[٢] ، فإن الذات تشهد ولا تعقل ولا تزال الهوية منصحبة معها ، ولذلك قال العارف «لا هو إلاَّ هو» فأثبت الهوية بنفسها .

ولكن سلكنا مسلكاً آخر تحتمله الألوهية لا الذات ، وتعطيه حقيقة هذا الحكم .

فهذه الأحكام كلها لها .

وهي صحيحة في نفسها .

وهكذا يقع الشهود فيها لمشاهد ، وستصل : فترى .

وقد صح في ما خرجه مسلم في صحيحه من إقرار كل طائفة [في ذلك الدراية][٣] .

فلا بد من تجليها في صور اعتقاداتهم ، وذلك راجع إلى المدرِك[٤] ، لا إلى المدرَك[٥] فإن الحقائق لا تتبدل .

وهذا نقص لمن يخرج عن طريقتنا ، في أي حضرة تقع مشاهدة الألوهية .

---

(١) هو الإمام مالك (رضي الله تعالى عنه) .

(٢) يعني مسلك هؤلاء الذين تكلم عنهم آنفاً ، الذين قال عنهم «والعجب كل العجب» الخ ، لا مسلك الإمام مالك ، فقد قال أهل النحو : «الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد صارف» .

والصارف هنا : أنه هو يناقشهم هم في قضيتهم تلك .

وإنما كان كلام الإمام مالك معارضاً لهم فقط ، لا مناقشاً ، والله تعالى أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ولعلها «في تلك الدار به» .

(٤) بكسر الراء .

(٥) بفتح الراء .

ولـذلك سمى عـالم التمثل والتبـدل : «بـرزخـاً» لكـونـه وسـطانيـاً : حقـائق جسمانية ، وحقائق غير جسمانية ، فتعطيَ هذه الحضرة المتوسطة هذه التجليات : تربط بها المعاني بالصورة ربطاً محققاً ، لا ينفك .

وقد أشار إلى هذا المقام بعض العارفين في حكاية أذكرهـا باسنـاد متصل إلى السرى .

قـال الجنيد : قـال السـرى : سمعت عليهـا الأسـود يقـول : «من أقبـل على الأشياء وهو يراها : ذهبت عنه ، ومن تركها أتته» .

قلت له : كيف ذلك يا سرى ؟

قال : كان يذكر أنه يكتسب ويجتهد ، فلا يقوم بكفاية معيشته .

قـال : فقرأت هـذه الآية ﴿قـل أرأيتم ان أخـذ الله سمعكم وأبصـاركم وختم على قلوبكم﴾[1] ، فتركت الكسب : متوكلاً على الله بالكفـاية ، فلو ضـربت بيدي إلى هـذه الاسطوانـة لصارت ذهبـاً ، وضـرب يـده على الاسـطوانـة فـإذا هي تلوح ذهباً .

ثم قال : يا سرى : الأعيان لا تنقلب ، ولكنك هكذا تراه بحقيقتك بربك .

فانظر في قوله «هكذا تراه» يعني الحق .

وهكـذا تراه : «يعني المـرئى» أي الرؤيـة عائـدة على الرائي ، يعني الصـورة المشهودة للرائي .

ومن هـذا أيضاً زلت أقـدام طائفـة عن مجرى التحقيق ، فقـالـوا : مـا ثم إلاّ من ترىٰ : فجعلت العالم هو الله ، والله هو نفس العالم ، ليس أمراً آخر[2] .

وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله .

فلو تحققـوا به : مـا قالـوا بذلـك ، وأثبتـوا كـل حقيقـة في مـوطنهـا : علمـاً وكشفاً .

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٤٦ .

(٢) وهم القائلون بوحدة الوجود من اليهود والنصارى ومن لف لفهم . ومن هذه الكلمة تعرف أنه لا يقول بوحدة الوجود كما أدعىٰ قوم وافتروا عليه .

فأترك تأويل الأخبار الواردة بالتشبيه لمن وصف بها نفسه ، إذا لم تكن من أهل هذا الكشف[1] والتحقيق ، ولا تحمله عليك أصلاً . فإنك تبطل أصلك حيث تعتقد نفس التشبيه ، وما زلت[2] منه ، ولكن تركت التشبيه بالمخلوق المركب ، وأثبته بالمخلوق المعقول ، وأني للممكن أن يجتمع مع الواجب بالذات[3] في حكم أبداً .

١٦ ـ **مسألة** : المدرك[4] ، والمدرك[5] كلاهما على ضربين : مدرك بعلم وله قوة التخيل ، فيمسك صور المرئيات .

ومدرك بعلم فقط ، وليس له قوة التخيل ، إذ ليس جسماً ولا في جسم .

والمدرك[6] على ضربين : مدرك مقيد بصورة ، فهذا يتخيله من له قوة التخيل ، ويعلمه من ليس له قوة التخيل فلا يقوم به منه صورة ، لأن حقيقة تأبى ذلك .

ومدرك لا يمكن أن يتخيل ، لأنه لا صورة له ، ولكن يعلم فقط .

وكل مفطور على العلم الذي يعطي كسب العلوم : على ضربين :

ضرب ظهرت حياته للحس بالعادة ، فيتخيل ولا يكسب علماً من طريق فكر .

وضرب : بطنت حياته عن الحس بالعادة ، فلا يتخيل البتة ، وما في الوجود سوى ما ذكرناه .

فالوجود كله : حي ناطق بتعظيم الحق سبحانه ، لكن يختلف نطقهم باختلاف حقائقهم .

قال الله تعالى : **﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن﴾**[7] ،

---

(١) المقصود بالكشف هنا : كشف محجبات الحقائق ، لا كشف الصوفية المعروف والله تعالى أعلم .

(٢) بضم الزاي وسكون اللام .

(٣) سبحانه وتعالى .

(٤) بكسر الراء .

(٥) بفتح الراء .

(٦) بفتح الراء .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .

فقوله : ﴿ومن فيهن﴾ ردّ على من يقول بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كأنه يقول : أهل السموات السبع وأهل الأرض ، فنفى هذا الإحتمال بقوله : ﴿ومن فيهن﴾ إذ قد ورد مثل ذلك في قوله : ﴿وأسأل القرية التي كنا فيها والعير﴾[1] وليس هذا كذلك .

وقوله (ع) في أُحد : «هذا جبل يحبنا ونحبه»[2] .

وقوله : «يشهد للمؤذن : مد صوته ، من رطب ويابس»[3] . وقوله : «ما من دابة إلاّ هي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»[4] .

وهذه أُمور كلها تقتضي العلم ، وهو مشروط بالحياة ، لكن ـ كما قلنا ـ بما ظهر منا للحس وما لم يظهر ، فما لم يظهر بالعادة : ظهر بخرق العادة للنبي والولي .

فالكل : حي ناطق بتسبيح الله وحمده ﴿لكن لا تفقهون﴾ أي لا تعلمون تسبيحهم ﴿إنه كان حليماً﴾ بإهمال من تأول هذا القول ، وصرفه إلى غير وجهه ، ولم يأخذ به ﴿غفوراً﴾ بستره :

نطق هذه الاحناف من الإدراك السمعي .

١٧ ـ مسألة : العلم ليس تصور المعلوم ، ولا هو المعنى الذي يتصور

---

(١) سور يوسف ؛ الآية : ٨٢ .

(٢) رواه البخاري عن سهل بن سعد ، والترمذي عن أنس ، وأحمد والطبراني والضياء المقدسي : عن سويد بن عامر . والطبراني في الأوسط عن أنس وعن أبي عبس بن جبير .

(٣) قال رسول الله (ص) : «المؤذن يغفر له : مد صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس ، وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ، ويكفر عنه ما بينهما» رواه عبد الرزاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، وأبو الشيخ في «الأذان» والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) قال (ص) : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة : ما على الأرض من دابة إلاّ وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس : شفقاً من الساعة ، إلاّ الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه» .

رواه مالك ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والبغوي ، والباوردي ، وابن نافع ، والحاكم .

المعلوم ، فإن ما كـل معلوم يتصور ، ولا كـل عالم يتصـور ، فإن العـالم إذا تصور الأشياء التي من حقيقتها أن تتصور ، فليس يتصورهـا من كونـه عالمـاً فقط ، بل من كونه متخيـلاً ، وفي قوة المتصـور ، فمن ليست له هـذه القوة : لا يتصـور ما يمكن أن يتصور ، فليس بتصورها ، ولكن يدرك .

ولا كـل معلوم يتصور ، فـإنه من حقيقـة : أن يقبل الصـورة ، فـلا يتصـور ، ولكن يعلم ، فالعلم ليس التصور على هذه ، وهو الصحيح .

١٨ ـ **مسـألة** : ليس للمخلوق قـدرة أصلاً ـ عنـدنا وعنـد المحققين منّا ـ إذ لا فاعل إلاّ الله تعالىٰ ، خالق الأفعال الظاهرة في العين على أيدي الخلق وغيرها .

وذلـك أنه مـا أستدللنـا على أن كون البـاري قادراً إلاّ بـوجـود الأثـر عن هـذا الحكم .

ولم يوجد أثر لمخلوق عقلاً .

فمن أين تثبت القدرة الحادثة مع انتفاء الأثر حقيقة .

١٩ ـ **مسـألة** : لا حـاجة لنـا في إقامـة الدليـل على إثبات الـوحدانيـة ، فـإن المشاهد تمنع الجدال في الله ، وفي وحدانيته .

ولكن قـد يُقـال للمشـرك : نحن وإيّـاك مجمعـون على واحـد ، وأنت زدت عليه(١) ، فما الدليل على إثبات الزائد ؟ .

فهو يتكلف طلب الدليل لا نحن .

٢٠ ـ **مسـألة** : كون الباري حياً ، قادراً ، عـالمـاً ، إلى غيـر ذلك من أوصـاف الكمـال عنـدنـا : أحكـام للذات ، أضيفت ، وسلوب صحيحـة ، وصف بهـا ، لا ترجع إلى أعيان زائدة على الذات ، [لأنه كامل الذات] فمحال : كمـاله بـالزائـد ، فإن فيه نقص الذات ، فلها تعلقات متعددة ، تتبـع المتعلقات : حكمـاً فهي عالمـة بكـذا ، وقادرة لكـذا ، ومريـدة لكـذا ، وهكـذا جميـع مـا ينسب إليهـا من أحكـام الصفات .

٢١ ـ **مسألة** : الصفات الذاتية للموصـوفين ، هي عينها ، فهي مقـدورة ، فإنّ

---

(١) لأن المشـرك : لم ينف وجـود الله ، وإنمـا جعـل لـه شـريكـاً : سبحـانـه وتعـالى عن الشريك والمثيل .

كانت أحكاماً تابعة للموصوف ، لا عين الموصوف ولا غير الموصوف ، ولا معدومة ولا موجودة لكن معلومة ، فليست بمقدورة ، كالتحيز للجوهر ، وقبوله للأعراض ، والتأليف للجسم ، والطول ، والعرض ، والعمق له ، ومثل ذلك .

٢٢ ـ مسألة : الأعيان من حيث الجوهرية : لا تنعدم بعد وجودها أبداً .

والصور والأشكال والمقادير ، والأكوان والألوان : أعراض في عين الجوهر ، وهي التي تخلع على الجوهر على الدوام .

ولهذا لا تزال فقيرة على الدوام .

والباري : خلق على الدوام ، فالكون من حيث الجوهر : لا يفنى ولا يتبدل من حيث الصورة ، كما ذكرناه .

٢٣ ـ مسألة : ليس العالم مع الباري في وجوده ، ولا بينهما بون يقدر ، بل هو [إرتباط ممكن بواجب](١) ومخلوق بخالق(٢) ، فهو في الدرجة الثانية من الوجود ، والباري في الدرجة الأولى ، وليس بينهما رتبة .

مثاله ـ ولله المثل الأعلى ـ الحيزان المتجاوران للجوهرين : ليس واحد منهما في درجة الآخر ، ولا بينهما حيز .

فيمكن بهذه النسبة أن يكون الأوساط على التقريب ، إذا العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة .

وهذا مذهب ثابت : لاح بين القدماء ، والأشاعرة .

فانتفى القدم عن العالم في هذا المذهب ، ولا يقول به القدماء .

وانتفى التقدير الوهمي الذي يقدره الأشاعرة بين الحق والخلق .

وثبت الحدوث والافتقار .

وثبت وجود الباري .

(١ ، ٢) «إرتباط» مضاف ، و «ممكن» مضاف إليه ، أو كما نقول : إرتباط مخلوق بخالق : لا بد أن يكون بينهما إرتباط دائم، فإن المخلوق محتاج إلى الخالق دائماً في كل تصرفاته : صغيرها وكبيرها .

والممكن هو المخلوق . والواجب هو الخالق . والله تعالى أعلم .

٢٤ ـ مسألة : العرض يتقدم لنفسه في الزمان الثاني من زمان وجوده ، فكان الحق خالقاً على الدوام .

وصح الإفتقار من الجوهر على الدوام ، ولو بقي العرض لارتفع هذان الحكمان .

فارتفاعهما محال .

فبقاء العرض زمانين محال .

وهذا من باب الحقيقة الكشفية ، والسياق النظري[١] : أن الفاعل لا يفعل العدم ، والضد لا يعدمه ، لأنه لا يجتمع معه ، ولأن الضد معدوم : إنعدام الشرط لا يعدمه ، لأن الكلام فيه كالكلام في العرض الذي أنعدم .

فلهذا قلنا : ينعدم لنفسه ، ويستحيل بقاؤه .

٢٥ ـ مسألة : الحق تعالى : يشهد من كل وجه ويرى ، إلَّا من وجه الفعل[٢] لرفع المناسبة ، لأنه خاص بالذات ، ليس فيها منه شيء ، بخلاف : العلم ، والإرادة ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن حقيقة المشاهدة[٣] من حيث نحن ، لا من حيث هو .

٢٦ ـ مسألة : لا يمكن ـ عندنا ـ معرفة حال من أحوال ما تقتضيه ذات ما [لا يعد معرفة تلك الذات] حتى تعرف كيف ينسب إليها ذلك الحكم .

وذات الحق تعالى : لا تعلم عندنا ، فالأحكام التي تنسب إليها : لا يعلم وجه النسبة إليها أصلاً ، كالمعية ، والإستواء ، والنزول ، والضحك ، والتبشبش ، واليد ، والعين ، وكل ما حكم على نفسه به[٤] .

وعلى هذا المنوال حقيقة الإنسان وما ينسب إليها .

ولهذا قال (ع) : «من عرف نفسه عرف ربه» .

---

(١) يعني : الحقيقة التي كشفناها لكم أيها الفلاسفة ، والنظريون .

(٢) فإنه لا يرى .

(٣) وقد قال في غير هذا الموضع ما معناه : أن الذي يشاهد ذا الجلال يوم القيامة إنما يشاهد الصورة المطبوعة في نفسه هو : أي الرائي .

(٤) وكل هذه الألفاظ وردت في القرآن والسنة .

والنفس بحر لا ساحل له ، فأحالنا في المعرفة علينا[١] ، فلما دخلنا بحر معرفتنا بنا غرقنا ، وما برحنا نقاسي أمواج بحره فكراً وكشفنا[٢] إلى أن عرفنا أن : معرفتنا بنا : بحر لا ساحل له ينتهي إليه فينتقل إلى معرفة الربوبية[٣] .

فبنا نتكلم ، وعلينا نحوم ، وما يبدوا لنا سوانا .

فنحن حجاب العزة الأحمى على الرب : يجل ويتعالىٰ أن يدركه خلقه على كنه ما يدرك نفسه .

بل المخلوق قاصر عن أدراك نفسه[٤] ، فكيف له بالظفر بإدراك منشئه ، من حيث هو منشيء له .

فأحرىٰ ـ من حيث ذاته تعالى وتقدّس علواً كبيراً ـ لا يعرفه على حقه عارف ، ولا يصفه واصف .

٢٧ ـ مسألة : الدليل الواضح على إثبات إلٰه واحد ، ونفي إلهين .

لم يدل دليل قط على نفي قدمين[٥] فصاعداً ، ولا على إثبات ذلك ، بل على الجواز[٦] إلّا أن يرد السمع[٧] بإثبات ذلك أو ينفيه ، فلا إله إلّا هو : إله واحد سبحانه وتعالىٰ عما يشركون .

٢٨ ـ مسألة : القدم المنسوب إلى الباري تعالىٰ : سلب الأولية التي ثبوتها عن عدم[٨] : لا الأولية الوجوديّة التي سمي بها نفسه في قوله ـ هو الأول .

---

(١) فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعرف نفسه المركبة في جسم ، ولها حيز ولون وهيئة وشكل ، فكيف يعرف الله تعالى ؟ .

(٢) في المخطوطة «سحه فكره وكشفاه» بدون نقط ، وهو تحريف .

(٣) فإذا كنت عاجزاً عن معرفة كنه نفسك ، فأنت عن معرفة كنه ربك أعجز .

(٤) في المخطوطة «بل الخلق قاصرة عن أدراك نفسه» وهو تحريف .

(٥) بكسر القاف وفتح الدال .

(٦) يقصد أنهم بنوا نظرياتهم على أنهم قالوا : يجوز .

(٧) يقصد أننا لسنا مطالبين بنرياتهم هذه ، وإنما نحن مطالبون بسماع القرآن والسنة وما ورد فيهما ، وهو الذي نقبله فقط ، فإذا ورد شيء في القرآن الكريم والسنة المطهرة قبلناه بلا مناقشة ، وما لا ، فلا .

(٨) يعني أنه أوّل : لم يسبقه عدم ، لأن القدم الذي يسبقه عدم هو للمخلوق ، ومهما كان المخلوق قديماً في الزمن فهو محدث : أحدثه الله تبارك وتعالىٰ .

٢٩ ـ مسألة : البقاء استمرار الوجود لا غير ، لا عين صفة ، فتبقى ، فتحتاج إلى بقاء ، فالذي يبقى به البقاء : به يبقى الباقي المنعوت بكونه باقياً ، وهو ما ذكرناه ، فإن كان الباقي لا يتقيد ، فإستمرار وجوده لا غير .

٣٠ ـ مسألة : الكلام على حسب من ينسب إليه ، فليس ثم حد يجمعه ، فمعرفة نسبته إلى الباري موقوفة على معرفة ذاته ، كما قد قررناه .

وكذلك سائر ما نعت به وسمى .

٣١ ـ مسألة : وحدانية الكلام حقيقة ، فالتجلي من كونه متكلماً : واحد ، والمتجلي إليه مختلف ومتنوع : مقيد بالوقت والمكان ، وقد يتقيد بالإله ، فينقسم إلى الأوامر ، والنواهي ، والأخبار ، وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي ؛ الموقوف على الصيغ والعبارات .

٣٢ ـ مسألة : الأسماء للذات : أحكام ترجع إليه من المحدثات : ما علم منها وما لم يعلم ، مما يصحّ أن يعلم ، فثم اسم يدل على عين الذات لا يقاع تمييز السامع في العبارة يسمى : [مشتقاً](١) أو جامداً .

وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه ، وثم اسم يعقل منه معنى زائد على عين الذات .

وهل يدل على عين الذات أم لا ؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل .

وإن دل على عين ، فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم ، أم ذات زائدة ؟ .

فذهبت طائفة : إلى أنه عين الذات ، وهم القدماء .

وذهبت طائفة إلى ذات زائدة ، وهم الأشاعرة ، كقولنا : عالم ، وقادر ، ومريد ، وحي ، وسميع ، وبصير ، وغير ذلك .

وثم اسم يعقل منه إضافة : لا عين ، كالأول ، والآخر ، والباطن ، والظاهر .

---

(١) في المخطوطة «مرتجلاً» ، ولا معنى لها ، والذي أثبتناه يدل عليه كلمة «جامد» فالاسم إما مشتق أو جامد ، واسم «الله» الذي لا يشتق منه هو «الله» وأما الرّحمن والرّحيم والخالق والبارىء وما إلى ذلك من بقية الأسماء ، فأسماء صفات يشتق منها ، والله تعالى أعلم .

وثم اسم يعقل منه : سلب ما لا يليق بالاسماء ، كالقديم والقدوس .

ومع هذا كله ، فمنا تعلقها : لا منه ، فهي أسماء حمد : لا أسماء تحقيق .

٣٣ ـ مسألة : الاسم قد يرد ، ويراد به المسمى ، ويرد ويراد به : اللفظ الدال على المسمى .

فالخلاف في هذه المسألة : لفظي لا غير . ليس بأيدينا ـ على الحقيقة ـ من الحق تعالىٰ إلّا أسماؤه : لا يعقل منه غيرها .

وبهذه التسمية : نسميه معروفاً ومعلوماً . ونسمي أنفسنا : علماء وعارفين .

ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلّا على الاسم .

فقال تعالىٰ : ﴿سبح اسم ربك﴾ فحقق هذا الفصل أيها الناظر .

٣٤ ـ مسألة : الحمد هو : الثناء على الله بما هو أهله .

والشكر : الثناء على الله بما يكون منه من النعم .

ولا يكون الثناء على الله أبداً إلّا مقيداً : إما بالنطق ، وإما بالمعنى الباعث على الحمد .

وقد يرد في النطق : مطلقاً ومقيداً ، مثل قوله تعالىٰ في المطلق اللفظي : **﴿قل الحمد لله﴾**[1] .

وأما المقيد فتارة يقيده بصفة ، كقوله تعالى : **﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾**[2] ، وقوله : **﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾**[3] ، وما خرج حمد من محامد الكتب المنزلة من عنده عن هذا التقسيم .

٣٥ ـ مسألة : خلق الله الخلق : ليكمل مراتب الوجود ، ولتكمل المعرفة في الوجود ـ أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة ـ فخلق الخلق ليعرفوه ، إذ كان : كنزاً لا يعرف ، كما ورد في بعض الأخبار المشهورة[4] لا ليكمل سبحانه في

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ١١١ .

(٢) أول سورة الكهف .

(٣) أول سورة الأنعام .

(٤) لعله يقصد الحديث القدسي المعروف : «كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبي عرفوني» .

ذاته : تعالى الله عن ذلك، فكان يعرف نفسه بنفسه ، فبقي من مراتب المعرفة : أن يعرفه الكون ، فتكمل المعرفة ، فأوجد الخلق ، وأمرهم بالعلم به .

وكذلك الوجود : ينقسم إلى قديم ومحدث(*) .

فلو لم يخلق الكون : ما كملت مراتب الوجود . فافهم .

٣٦ ـ مسألة : اسم البخل على الله تعالى : محال ، فلو أدخر شيئاً من الممكنات : لم يكن اسم الجود عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخل عليه فيما أمسك .

فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم : من حيث حصر الأجناس ، فليس في الإمكان زائد .

ومن حيث أنه نصب العالم : دليلاً على العلم ، فلا بد أن يكون الدليل كامل الأركان ، فما أبقى شيئاً إلاّ الأمثال ، فالمثل عين المثل في حقيقته .

٣٧ ـ مسألة : ليس ثم أعلى من الكشف ، ولا أدنى من الحجاب ، فالكشف غاية المطالب ، وهو : الرؤية .

والحجاب أعظم الحرمان ، وهو : عدم الرؤية .

وقد ظهر الحكمان في العالم ، فليس في الإمكان(١) أبدع من هذا العالم : لحصره بين التجلي والحجاب .

٣٨ ـ مسألة : الأفراد في هذه الأُمة : هم الخارجون عن دائرة القطب ، وهم الذين ﴿على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وهم في هذه الأُمة بمنزلة الأنبياء في الأُمم الخالية : الذين كانوا على شريعة من ربهم في أنفسهم .

ليسوا برسل ، ولا متبعين إلاّ لما يوحىٰ الحق إليهم سبحانه وتعالى ، وينظر إليهم : الاسم المفرد ، بإنفراده عن الأسماء .

(*) فالقديم هو وجود الله تعالى ، والمحدث هو وجود الكون .

(١) ومن معاني «ليس في الإمكان أبدع مما كان» إن الله تبارك وتعالى : أراد خلق العالم على هذا الوضع ، وإن كان سبحانه وتعالى من الممكن له أن يخلق : أجمل وأكمل منه ـ لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى ـ إلاّ أنه لا يمكن أن يخالف نفسه فيخلق خلقاً على خلاف ما أراد وقضى ، فلا يناقض نفسه بنفسه .

والقطب من الأفراد ، وله مزية التقدم بالنظر في العالم ، بخلاف سائر الأفراد .

وأخبرت عن عبد القادر الجيلي ببغداد : أنه قال في الشيخ محمد الأواني : أنه من الأفراد : وهم أعيان الأولياء .

٣٩ ـ مسألة : المختار هو الذي يفعل أمراً ما إن شاء ، ويتركه إن شاء .

وسبق العلم بالفعل ، وبالترك : يحيل وقوع ما لم يسبق به العلم ، فالاختيار محال .

والمضطر هو : المجبور على الأمر ، ولا جبر ، فلا اضطرار ، ولا اختيار[١] .

تحقق أيها الناظر هذه المسألة : تنتفع إن شاء الله .

٤٠ ـ مسألة : الاختراع : حصول المخترع في النفس أولاً ، ثم بالفعل .

ولم يحصل في النفس شيء لم يكن فيها ، فلا اختراع[٢] .

لكن عدم المثل في ظهور العين ابتداء : سمّاه اختراعاً ، وليس على حقيقة الاختراع .

٤١ ـ مسألة : إذا كان الإتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة ، فهو محال ، لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد ، فهما ذاتان ، فإن عدمت العين الواحدة ، وبقيت الأخرى ، فليس إلاّ واحد ، فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراتب العدد ، فيظهر العدد ، فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ، ويكون الدليل مخالفاً للحس ، فيكون له وجهان ، كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً ، وبالدليل : أن الله خالقها ، وأنها أثر القدرة القديمة[٣] ، لا المحدثة[٤] .

---

(١) ولأن الله تعالى ـ على الحقيقة ـ لا يتصف بما يتصف به المخلوقون .

(٢) هذه من دقائق المعرفة بالله ، لأن الإنسان مثلاً إذا أراد أن يفعل شيئاً ، وجد في فكره أو لا ، ثم ينفذ أو لا ينفذ ، وهذه من صفة المخلوقين ، لأن وجود الشيء في النفس يسبقه عدم ، ثم يوجد ، ثم يحدد الموقف : ينفذ أو لا ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿**بديع السماوات والأرض**﴾ أي مبدعهما على غير مثال سبق ولا فكر ولا شيء مما يفعل الخلق ، تعالى الله عن ذلك ، والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) قدرة الله تعالى .

(٤) قدرة المخلوق .

فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود ، لا من طريق النظر : يسمى : إتحاداً .

وقد يكون الاتحاد ـ عندنا ـ عن حصول العبد في مقام الإنفعال عنه بهمته ، وتوجه إرادته ، لا بمباشرة ولا معالجة ، فلظهوره بصفة هي للحق تعالىٰ حقيقة : يسمىٰ إتحاداً ، لظهور حق في صورة عبد ، ولظهور عبد في صورة حق .

وقد يطلق الاتحاد ـ في طريقنا ـ لتداخل الحق في الأوصاف والخلق ، فوصفنا بأوصاف الكمال من : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، وجميع الأسماء كلها ، وهي له[1] .

ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من : الصورة ، والعين ، واليد ، والرجل ، والذراع ، والضحك ، والنسيان ، والتعجب ، ولتبشبش ، وأمثال ذلك مما هو لنا[2] .

فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه ، سمينا ذلك اتحاداً ، لظهورنا به ، وظهوره بنا ، فيصح على هذا قول القائل :

«أنا من أهوىٰ ومن أهوىٰ أنا»

٤٢ ـ **مسألة** : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ـ المماثلة : عقلية ولغوية ـ زيد مثل عمرو في الإنسانية ، لاشتراكهما في صفات النفس .

هذه المماثلة العقلية ، وليس عليها ﴿ليس كمثله شيء﴾ لا بزيادة الكاف [وهو] ومخرج بعيد : على تقدير فرض المثل ـ لا على وجوده ـ فالمماثلة أذن في الآية : اللغوية ، وهو الصحيح : زيد كالأسد ، وعمرو كالبحر : أي زيد مثل الأسد وشجاعته ، وعمرو كالبحر جوداً وبراً وإتساعاً ﴿**نوره كمشكاة**﴾ فانظر .

٤٣ ـ **مسألة** : العلوم المكتسبة ليس إلاّ نسبة حكم لمحكوم عليه : بنفي أو إثبات .

وليس شيء من المفردات مكتسباً .

---

(١) أي له حقيقة ، وليس لنا منها إلاّ الأسم .

(٢) أي لنا حقيقة .

وأعني بالاكتساب ما حصل بالنظر .

فإذا نسبت الإكتساب إلى التصور : الذي هو معرفة المفرد ، فليس ذلك إلاّ في اللفظ ، لا من جهة المعنى .

وإنما يسمع لفظاً يدل على معنى : ذلك المعنى عنده معلوم : إما حساً ، أو بديهة .

لكن لا يعرف أن ذلك اللفظ وضع له ، فلهذا يسأل عنه ، فيكتسب : أن ذلك اللفظ موضوع لذلك المعنى المعلوم عنده ، ليس إلاّ .

٤٤ ـ **مسألة** : المعلومات منحصرة في : حس : ظاهر وباطن ، وبديهة ، وما تركب من ذلك عقلاً : إن كان معنى ، وخيالاً : إن كان صورة .

وقد يسمى الباطن إدراكاً نفسياً ، وهو العلم بالألام وشبهها .

فالخيال : لا يركب أبداً إلاّ في الصور خاصة .

والعقل : يعقل ما يركب الخيال .

وليس في قوة الخيال : أن يصور بعين ما يركبه العقل .

وإن وقعت الصور في المعاني ، فليس إلا على تقدير : أن لو كان صور الكاتب على هذه الصور ، كالعلم في صورة اللبن ، والدين في صورة القيد ، وسورة البقرة لها لسان وعينان تشهد لقارئها ، والأعمال في صورة شاب حسن : إذا كانت صالحة(١) .

وليس في هذه المرتبة المال الذي تأخذ منه الزكاة حظها ، فيكون شجاعاً أقرع له زبيبتان .

فلو كان عين المنع : كان ما ألحقنا بهذا الباب ، بل ألطف ، لأنه عدم من حيث هو منع ، وإنما هو عين المال ، وقد أشترك مع الشجاع في الجوهر .

فهو : خلع صورة كان الجوهر حاملاً لها ، وللناس صورة الشجاع .

---

(١) كل هذا وردت به أحاديث صحيحة ، وستكون يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، وقد أخرج الحافظ السيوطي (رحمه الله تعالى) جزءاً في هذه الأحاديث اسمه «المعاني الدقيقة في أدراك الحقيقة» طبعناه والحمد لله على فضله ومنه .

٤٥ ـ **مسألة** : النظر في الأشياء من حيث ذواتها ، من غير نظر إلى كمال أو نقصان ، أو ملائمة طبع ، أو منافرة ، أو غرض ، أو وضع : لا حسنة ولا قبيحة ، ولا محمودة ، ولا مذمومة .

والحسن والقبيح ، والحمد ، والذم : أوصاف وضعية ، وضعها : شرع وطبع ، بحكم ملائمته أو منافرته ، ومناظرته ، وكمال أو نقص : لا غير .

ثم هي بالنظر إلى فاعلها ـ من حيث استنادها إليه ـ حسنة كلها : أدباً إلاهياً .

فانظر كيف تنظر في هذه المسألة : يزل عنك الخلاف المشهور فيها .

ومن هذا الباب عندنا : الشريف والوضيع .

٤٦ ـ **مسألة** : لا يلزم للراضي بالقضاء أن يرضي بالكفر والمعاصي والمخالفات ، فإنها كلها مقضية : ما هي عين القضاء .

والشارع أمرنا بالرضى بالقضاء ، لا بالمقضي ، وهو اختيار الحق[1] تعالى : لا مختاره[2] .

وليس لك أن تقول : رضيت بما قضى الله لي من المخالفات ، فإن «ما» هنا : هي عين المقضي .

إلَّا أن تجعل «ما» زائدة فحينئذٍ يجوز لك ذلك .

٤٧ ـ **مسألة** : قال[3] : يلزم من وجود الصفات المتعلقة : وجود المتعلق ، كوجود القدرة أزلاً وتعلقها : إنما هو الإيجاد ، ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً ، وكذلك العلم : لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقاً لحقائق المعلومات ، بل له

---

(١) الاختيار : أخذ شيء من أشياء .

(٢) المختار : المحبوب ، والمقصود : أن القضاء ـ أي قضاء كان : حلواً أو مراً ـ جميلاً أو خبيثاً ـ لحكمة يعلمها هو .

فالله تعالى : لا يرضى لعباده الكفر ، ولكنه وقع من كثير من الناس . فهل الذين كفروا : كفروا به وهو مكره ؟ كلا . . . ولكنه وقع ، وقد خلق جنة وناراً وأرسل رسلاً وأنزل كتباً ، وحذر وأنذر ، فلا عذر لأحد ، ولا يقع في ملكه شيء لا يريده ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، لأن مزلة القدم في هذه المسألة إلى الهاوية .

(٣) أي الشيخ (رحمه الله) .

صلاحية التعلق .

فالعلم ـ عندنا ـ المحدث واحد ، لا أقول : إن لكل معلوم علماً ، فإني لا أشترط فيه التعلق بكل المعلومات ، وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق .

فإذا نسب إلى الحق : نسب إليه الحق متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات : حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم ، وذلك على الله محال .

وقلنا بوحدانيته : إذا لو كان لكل معلوم علماً ـ والمعلومات لا نهاية لها وهو عالم بها ـ فكان يقوم به علوم لا نهاية لها .

ودخول ما لا نهاية له في الوجود : محال ، فوجود علوم لا نهاية لها : محال .

ولما ذكرناه : جوز الإمام أبو عمرو [السلالقي الأشعري] (رحمه الله تعالى) العلم المحدَث بما لا نهاية له : حدّثني بذلك بعض أصحابه ممن قرأ عليه : عنه، وهو صحيح عندنا نرتضيه ، وإن اختلف ما حدّثني دركه ، فالمدلول واحد ، ولا يعترض علينا بالنوم ، والغفلة ، والذهول ، فإن تلك أمور بدنية طبيعية لصور الآلات ، ليس محلها اللطيفة الإنسانية ، فهي العالمة : نام الجسم أو أستيقظ ، وليس يحصرها عالم واحد ، فلها العوالم كلها : حسيها ، وخياليها ، وعقليها : ملكها وملكوتها ، [فحيث ما سار بها الحق[1] سارت] وحيث ما أوقفها وقفت .

ولا يخلو عن تعلقها بمعلوم حيث كانت ، ومهما علمت ما لم تكن به عالمة ، فليس ذلك راجع لتجدد علم فيها ، وإنما تجدد التعلق بالمعلوم ، لظهور العلوم حساً كان أو غير حس ، فأدركته بالعلم الذي أتصفت به قبل ظهور ذلك المعلوم .

وكذلك الإرادة سواء .

وكلامنا في هذا كله : إنما هو في الصفات المحدثة المخلوقة .

وأما علم الله وصفاته المتعلقة ، فقد وافقنا على ذلك العقلاء ، إلاَّ شرذمة قليلة ، وهي المعتزلة ، ولا اعتبار لها عندنا .

---

(١) في المخطوطة «فحيث ما ساد به الحق سارت» ولا توافقها الضمائر التي ستأتي بعد .

٤٨ ـ **مسألة** : للعقل نور ، وللإيمان نور ، فبنور العقل تصل إلى معرفة وجود الله تعالى ، وكونه : قادراً سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، إلى غير ذلك مما يجب للألوهية ، وما يجوز عليها ، وما يستحيل .

وبنور الإيمان : يعرف ذات الحق ، وما وصف نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه : فيأخذها مشاهدة ، وهذه درجة الأنبياء والأولياء .

كما أن للعقل وللإيمان حداً .

فحد العقل : يوصله إلى التدبير في أسبابه ، ومصالح وجوده ، بحسب ما يقتضيه نظره من العادة .

وحد الإيمان : خروق العادة عنده لتخرق العادات له ، فيجد اللذة في العذاب ، والألم في النعيم ، وشبهه .

وعلى حد العقل : تجري أمور العقلاء من الخلق .

وعلى حد الإيمان : تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالى أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية

٤٩ ـ **مسألة** : توجه الذات على جميع الممكنات يسمى : إلهاً لمعنى يسمى : ألوهية ، وتعلقها بنفسها ، ولجميع حقائق المحققات : على ما المحقق عليه : وجوداً كان المحقق أو عدماً : يسمى علماً .

وتعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه : يسمى أختياراً .

وتعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون الكون : يسمى مشيئة .

وتعلقها بتخصيص أحد الجائزين[1] للممكن على التعيين يسمى : إرادة .

وتعلقها بإيجاد الكون : يسمى قدرة .

وتعلقها بأحكام قبل وقوعها : يسمى : قضاء .

وتعلقها بوقت وقوع الحكم ، يسمى : قدراً .

وتعلقها باسماع المكون لكونه : يسمى أمراً .

---

(١) الإيجاد أو عدم الإيجاد .

وهو على نوعين : بواسطة وبلا واسطة .

فبإيقاع الوسائط : لا بد من الأمثال ، فيكون الكون ، ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ، ولا هو أمر في عين الحقيقة ، إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء .

وتعلقها باستماع المكون : لصرفه عن كونه ، أو كون صادر منه : يسمى نهياً ، وصورته صورة الأمر في التقسيم من الواسطة وتركها .

وتعلقها بتحصيل ما هي عليه [هي أو غيرها] من الكائنات ، أو ما في النفس : في نفس المكون : يسمى اختياراً .

فإن تعلقت بالمكون على طريق أي شيء عندك : يسمى استفهاماً .

فإن تعلقت به على جهة النزول إليه : تعلق الأمر . يسمى : دعاء .

ومن باب تعلق الأمر إلى هذا : يسمى كلاماً .

وتعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك : يسمى سمعاً .

فإن تعلق علم بذلك يسمى : فهماً .

وتعلقها بكيفية النور ـ بالجملة من المرئيات ـ يسمى : بصراً ورؤية .

وتعلقها بإدراك كل مدرك ـ الذي لا يصلح تعلق من هذه المتعلقات كلها إلا به ـ يسمى : حياة .

والعين في ذلك كله واحدة : تعدداً[1] لتعلقات الحقائق المتعلقات والأسماء المسميات ، فتفهم .

٥٠ ـ مسألة : «علم اليقين» : معرفة الله بك ، إذا أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير مكيفة ، ولا معلومة الماهية ، ومحكوم عليها بالألوهية ، سلطاناً وحجة : لا ريب فيه :

«عين اليقين» مشاهدة هذه الذات بعينها ـ لا بعينك ـ فناء كلياً : لا يعقل معها نسبة ألوهية : إثباتاً أو نفياً .

لكن مشاهدة تفني الأحكام والرسوم ، وتمحق الآثار .

---

(١) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : «تتعدد» .

«حق اليقين» : نسبة الألوهية لهذه الذات : بعد المشاهدة لا قبلها .

وهو الفرق بين العلم والحق : ليس إلاَّ .

وهنا سكت المحققــون .

وبعد هذا : «حقيقة اليقين» ظهور الانفعـالات عند العبـد الكلي عن غيبته فيـه به : غيباً كلياً ، وفناء محققاً .

وهذه غاية المراتب .

فالثلاثة [كتابية][1] : علم : [عين][2] وحق .

والرابعة سنية ، قال (ع) : «فما حقيقة إيمانك» : لكل حق حقيقة»[3] .

فهـذه الحقيقة : بهـا يخبر العبـد المحقق نفســه في دعـواه : في معـرفـة حق اليقين ، فتأمل .

٥١ ـ **مسـألة** : مشاهدة الحق : لا تعطي الإحاطة بذاتـه ، ولذلـك قال : ﴿لا تـدركه الأبصـار﴾ ولو كـانت المشاهـدة تعطي معرفة منـاسبة الألـوهية للذات : لم تكن فائدة ، كقول رسول الله (ص) : في التجلي الإلهي في الـدار الآخرة ، وقـوله تعالىٰ للناس : «أنا ربكم» ، فيقولون : «نعوذ بالله منك»[4] .

(١) في المخـطوطـة بـدون نقط ، والمعنى أنهـا مأخوذة من الكتـاب ، وهـو القـرآن ـ إقـرأ سـورة التكاثر ـ ، وقوله تعالى : ﴿إنه لحق اليقين﴾ الآية : ٩٥ من سورة الواقعة ، وقوله : «والرابعة سنية» أي مأخوذة من السنة .

(٢) أولاً علم اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم حق اليقين .

(٣) هذا جزء من حـديث شريف صحيـح ، أورده لك لتسـتفيـد أيها القـارىء (رحمنا الله وإيـاك) : «قال النبي (ص) لصحابي جليل (رضي الله عنه) ، اسمـه حارثـة بن مالـك : كيف أصبحت يا حارثة ؟ .

قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ .

قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني بالجنة والنار ، وكأني بعرش ربي بارزاً .

قال (عليه الصلاة والسلام) : «عرفت فالزم : عبد نوّر الله قلبه» رواه البـزار ، من حديث أنس (رضي الله عنه) ، والطبراني عن الحارث بن مالك ، وللحديث روايات أخرى ورواة آخرون .

(٤) في حديث طويـل رواه الترمـذي ، وغيره ، وهـو حديث التجلي في عـرصات القيـامة قبـل أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

ولم يعرفوا أنه الحق ، مع مشاهدتهم إيّاه .

فإذن : العلم بالألوهية : لا يلزم منه العلم بالذات .

فمدار المعرفة على الحقيقة : على علم ثلاث :

علم الألـوهيـة .
وعلم الـــذات .
وعلم نسبة الألوهية لهذه الذات .

وبعد هذا كله : فلا إحاطة ، ولا إدراك .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ـ تمّ بحمد الله ، وعونه وحسن توفيقه ـ

ـ وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ـ

ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل ـ

ـ تمّت التنزلات الليلية ـ

من كنوز أهل الله
من رسالة نسب الخرقة

للإمام الأكبر والشيخ الأنور سيدي محيي الدين بن عربي (رحمه الله تعالىٰ) .

نقلتها من مجلة «لواء الإسلام» للمرحوم أحمد باشا حمزة (رحمه الله تعالى رحمة واسعة) ، الصادرة بتاريخ «سعبان سنة ١٤٠٠ هـ» ضمن موضوع بعنوان :

«آل بيت رسول الله (ص) في عهد النبوة» .

للشيخ الحافظ : أحمد بن محمد بن الصديق ، الغماري الحسيني (أعلىٰ الله مقامه) .

وقد تكرم علينا بهذا العدد : فضيلة السيّد الأخ الفاضل الكريم الشيخ أبو المجد شبيب أحد علماء الأزهر الشريف ، وخطيب مسجد سيدي أحمد الدردير (رضي الله عنه) .

وهي خير هدية تهدى للمسلمين جميعاً ، لأن كل كلمة فيها مأخوذة . إما من كتاب الله تعالى أو من حديث رسول الله (ص) ولم تخرج عن ذلك .

وهي من أقوى الأدلة على أن القوم يأخذون علومهم من الشريعة الصافية .

ـ والله ولي الذين آمنوا ـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

قال الشيخ الغماري (رضي الله عنه في الدّنيا والآخرة) :

وقال العلامة الأمير ، في فهرسته :

واعلم أن الخرقة ، وعلم الراية ، والحزام ، ونحو ذلك : ليست هي المقصود الأصلي من الطريق ، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس ، وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر ، ولذلك لما سئل الإمام مالك (رضي الله عنه) عن علم الباطن قال للسائل : «اعمل بعلم الظاهر يورثك الله علم الباطن»[1] .

لكن مسند القوم : إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر[2] ، وقد ورد تعميم النبي (ص) لبعض أصحابه في الجهاد ، وعقده اللواء له واغتفاره إنشاد الشعر والتبختر بين الصفين ، كما قال : «إنها لمشية يبغضها الله إلاّ في هذا الموضع».

وجعل الشعار في القوم ليجتمع بعضهم على بعض .

فكذلك القوم تبركوا بالباس الخرقة ، وإنما الأعمال بنياتها ، ونشروا الأعلام ، واغتفروا هز الجسم في الذكر والإنشاد : إعانة على المجاهدة ، وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد ، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم . بل على حد ما قيل :

فنادمني بمثل لسان حالي   تربحني ، وأطرب من قريب

والمدعون اليوم أفسدوا الأوضاع ، واقتصروا على الصور الظاهرية :

---

(١) أخذها من قول الله تبارك وتعالى : ﴿وأتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ومن قول رسول الله (ص) : «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» .

[رواه أبو نعيم في الحلية]

(٢) لقول رسول الله (ص) : «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .
قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ .
قال : جهاد النفس» .

[رواه البيهقي في الزهد]

واعلم بأن طريق القوم دراسة   وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

فالمقصود من الخرقة : ما وراءها ، لا مجرد لباسها ، ولذلك شرطوا على لابسها ـ للإرادة والتحكم ـ شروط السير والسلوك :

وبعد : قال الشيخ الأكبر في رسالته «نسب الخرقة» :

أما بعد : فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلي الحكيم ، في الكتاب المنزل ، الذي هو القرآن العظيم ﴿**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير**﴾[1]

فالضروري من اللباس الظاهر: ما ستر السوءات ، وهو لباس التقوى : «من الوقاية» والرياش : ما يزيد على ذلك ، مما تقع به الزينة التي هي ﴿**زينة الله التي أخرج لعباده**﴾ من خزائن غيوبه ، وجعلها خالصة للمؤمنين ، في الحياة الدنيا ويوم الاقامة[2] ، فلا يحاسبون عليها ، وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ، ولا هذا الحضور ، ولبسوا فخراً وخيلاء ، فتلك : زينة الحياة الدنيا .

فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد .

ثم أنزل في قلوب العباد : لباس التقوى ، وهو خير لباس[3] ، وهو على صورة لباس الظاهر سواء :

فمنه لباس ضروري : يواري سوأة الباطن ، وهو تقوى المحارم مطلقاً .

ومنه ما هو مثل الريش في الظاهر ، وهو : لباس مكارم الأخلاق : مثل نوافل العبادات ، كالصفح ، والإصلاح .

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٦ .

(٢) عبر الشيخ (رحمه الله) بيوم الاقامة ، بدلاً من يوم القيامة ، أخذاً من قوله تبارك وتعالى : ﴿**الذي أحلنا دار المقامة من فضله**﴾ وما دامت الاقامة للمؤمنين في الجنة ، فكذلك الاقامة للكافرين في النار ، وهي قضية مسلمة .

وإعلم أن الزينة ، التي هي لباس الناس اليوم : يشترك فيها المؤمن والكافر ، ولذلك قال تعالى : ﴿**قل هي للذين آمنوا**﴾ حلال ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ شركاء مع غيرهم ﴿**خالصة يوم القيامة**﴾ لا يشاركهم فيها أحد ، وذلك في دار المقامة الأبدية الذي لا فناء فيها ، والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) من قوله تعالى : ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ .

وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك .

ولكن تركه مما يزين به الرجل في باطنه ، فهي زينة الله في الباطن ، وهو كل لبس ندبك الشارع إليه .

فقد تحقق لباس الباطن : أنه على صورة الظاهر شرعاً .

وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد .

ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله : أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ؟ ليجمعوا بين الحسنيين ، فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقة على الهيئة المعلومة عندهم ، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً .

وأصل هذا اللباس ـ عندي ـ على ما ألقي في سري : أن الحق لبس قلب عبده المؤمن ، قال : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن» .

فإن الثوب وسع لابسه ، لمظهر الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جرا ، فجرينا على مذهبهم ، فلبسناها من أيدي مشايخ جمة سادات ، بعد أن صحبناهم ، وتأدبنا بأدبهم ليصبح اللباس : ظاهراً وباطناً .

وشروط هذه الخرقة المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوأة .

فتستر سوأة الكذب : بلباس الصدق .

وتستر سوأة الخيانة : بلباس الأمانة .

وسوأة الغدر : بلباس الوفاء .

وسوأة الرياء : بخرقة الاخلاص .

وسوأة سفساف الأخلاق : بخرقة مكارم الأخلاق .

وسوأة المذام : بخرقة المحامد .

وكل خلق دنئ : بخرقة كل خلق سني .

وترك الأسباب : بتوحيد التجريد[1] .

والتوكل على الأكوان : بالتوكل على الله .

وكفر النعمة : بشكر المنعم .

ثم تتزين بزينة الله ، من ملابس الأخلاق المحمودة ، مثل : الصمت عما لا يعنيك .

وغض البصر عما لا يحل النظر إليه .

وتفقد الجوارح بالورع .

وترك سوء الظن بالناس .

وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك ، وما سطرته أقلام الكتبة الكرام عليك .

والقناعة بالموجود .

وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير .

وتفقد أخلاق النفس .

ومعاهدة الإستغفار .

وقراءة القرآن .

والوقوف مع الآداب النبوية .

وتعرف أخلاق الصالحين .

والمنافسة في الدين .

وصلة الرحم .

وتعاهد الجيران بالرفق .

---

(١) يعني أنه يتوكل في كل حاله على مسبب الأسباب ، وهو التوكل الحق ، كما قال (ص) : «لو توكلت على الله حق توكله : رزقت كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتعود بطاناً» رواه البيهقي في شعب الإيمان .

وبـــذل العـــرض .

وقـد رغب رسول الله (ص) في ذلـك بقولـه : «ألا يستطع أحـدكم أن يكـون كأبي ضمضم ؟ كان إذا أصبح يقول : اللّهم أنّي تصدقت بعرضي على عبادك» .

وسخاوة النفس ، وهو : أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق .

وصنائع المعروف ، مع الصديق والعدو.

والتـواضـع .

ولـين الجانب .

وإحتمـال الأذى .

والتغافل عن زلل الأخوان .

وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر .

وترك مجالسة الغافلين ، إلاّ أن نذكرهم ، أو أن نذكر الله فيهم .

والكف عن الخوض في الأعتراض في آيات الله .

وترك الطعن على الملوك[1] والمذنبين من أمّة سيّدنا محمّد (ص) .

وترك الغضب ، إلاّ عند إنتهاك محارم الله .

وترك الحقد والغل من الصدور .

والصفح عن المسيء ، وهو : أن لا تغضب لنفسك .

وإقالة أهل المروءات : «ذوي الهيئات»[2] .

والإبقاء على أهل الستر .

وتعظيم العلماء وأهل الدين[3] .

(١) من قـوله (ص) : «لا تسبـوا الأئمة ، وادعـوا لهم بالصـلاح فـإن صـلاحهم لكم صـلاح» رواه الطبراني عن أبي أمامة .

(٢) قـال (ص) : «اقيلوا ذوي الهيئات زلاتهم» رواه الـدار قطني ، والخـطيب ، عن ابن مسعـود ، والحاكم في الكنى عن أنس ، وابن حبان والعسكري في الأمثال ، والبيهقي .

(٣) قـال (ص) : «أكرمـوا العلماء فـإنهم ورثة الأنبيـاء ، فمن أكرمهم فقـد أكرم الله ورسـوله» رواه الخطيب والديلمي عن جابر .

وإكرام ذي الشيبة [1] .

وإكرام كريم القوم ـ كانوا من مسلم أو كافر ـ كل ذلك على الحد المشروع ، مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص .

وحسن الأدب مع الله تعالى ، ومع كل واحد من حي وميت ، وحاضر وغائب .

ورد الغيبة عن عرض المسلم .

وإيّاك والتصنع والتشدق ، فإنّ كثرة الكلام يؤديّ إلى سقطه .

وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصغير ، وتفقد المحتاجين ، ومواساتهم بالبر والصدقة ، وميسور القول والهداية وقرى الضيف ، وإفشاء السلام ، والتحبب إلى الناس : على الحد المشروع .

ولا تكن لعاناً ولا طعاناً ولا عياباً ، ولا صخاباً .

ولا تجز أحداً بالسيئة في حقك إلاَّ إحساناً [2] .

والنصيحة لله تعالى ولرسوله (ص) ولأئمة المسلمين وعامتهم [3] .

ولا تنتظر الدوائر بأحد ، ولا تسب أحداً من عباد الله على التعيين ، من حي ولا ميت ، فإن الحي لا يعرف إن كان كافراً بمـ يختم له ، وإن كان مؤمناً بما يختم له .

ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ترد الرئاسة على أحد [4] ،

= وروى ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : «أكرموا العلماء ، فإنهم ورثة الأنبياء» .

(١) من قوله (ص) : «من أجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم» رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٢) بمعنى : أنك تقابل السيئة بالحسنة لقوله تعالى : ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ .

(٣) من قول رسول الله (ص) : «الدين النصيحة :

قالوا : لمن يا رسول الله ؟ .

قال : لله ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه البخاري في التاريخ ، والبزار .

(٤) لقول رسول الله (ص) لأبي ذر : «يا أبا ذر أنك ضعيف وأني أحب لك ما أحب لنفسي : لا تأمرن على اثنين ولا تولين ما يتيم» رواه مسلم ، وأبو داود والنسائي .

ولا تواطىء عقبك خدمة عن أمرك[1] .

وإيّاك أن تترك الناس أن يبولوا في أذنك بنقل ما يسوؤك عنك وعن غيرك .

ولتحب المؤمنين كلهم : مسيئهم إليك ومحسنهم ، لحبهم الله ورسوله ، ولا تبغضهم لبغضهم إيّاك[2] ، أو من كان : غير الله ورسوله [فبهذا أوصاني رسول الله (ص) في المنام في رؤيا رأيتها في حق شخص ، وقع في بعض شيوخي ، فأبغضته ، فرأيت رسول الله (ص) في المنام ، وقال لي : «لم أبغضت فلاناً ؟ فقلت له : لبغضه ووقوعه في شيخي ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : ألست تعلم أنه يحب الله ويحبني ؟ .

قلت له : بلى .

قال : «فلم لا تحبه بحبه إيّاي ، وأبغضته لبغضه شيخك . فقلت له : يا رسول الله : من الساعة»[3] .

فما أحسنك من معلم ، لقد نبهتني على أمر كنت عنه غافلاً .

ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد ، وإن كنت عليه ، فإنك لا تدري : هل يبقى عليك ، أو يسلب عنك ؟ .

ولا تتميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود : يعرف عنك ، إلا أن كنت ممن يقتدي به .

ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض ، إلاّ أن تكون في باطنك كذلك .

ولا تحب التكاثر من الدنيا .

ولا تبال بجهل قدرك ، بل لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدراً[4] .

---

(١) ربما كان المقصود : لا تتعقب سقطات الخدم ، إلاّ في الأمر الذي تأمرهم به .
(٢) أي لا تبغضن أحد إلاّ أن تتحقق أنه يبغض الله ورسوله .
(٣) أي لا أفعل هذا من الآن .
(٤) يعني لا تبال بأنك مجهول القدر عند الناس ، فإن الناس ، لن ينفعوك بشيء ، بل أتهم نفسك ولا ترفعها ، فإنك إن رفعتها خفضتك .

ولا ترغب في إنصات الناس لكلامك .

ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقك .

وأصبر للحق ، ومع الحق **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** .

وانصف من نفسك .

ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك .

وسلّم على المؤمنين ابتداء .

ورد السلام على من سلّم عليك .

وإيّاك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا ، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما في أيديهم .

وأدع للملوك وولاة الأمر ، ولا تدع عليهم ، وإن جاروا .

وجاهد نفسك وهواك فإنه أكبر أعدائك .

ولا تكثر الجلوس في الأسواق ولا المشي فيها .

وكف ضررك عن أئمة الدين .

وأترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدّي عند السامعين إلى الخروج عنها .

وعليك بالإمساك عن الخوض في الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ماقدموا[1] ، وأترك المراء في القرآن[2] والقدر[3] وأترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القادحة في الدين .

---

(١) قال رسول الله (ص) : «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخاري والإمام احمد والنسائي .

(٢) قال (ص) : «المراء في القرآن كفر» رواه أبو داود والحاكم .

(٣) قال رسول الله (ص) : «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا» رواه الطبراني .

وعليك بإخراج الحرص[1] والحسد والعجب من قلبك ، بأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة[٥] .

وعليك بالدخول في الجماعة ، فإن الذئب لا يأكل إلّا القاصية .

وإيّاك والعجلة في أمرك ، إلاّ في خمس : «في الصلاة لأول وقتها والحج عند وجود الإستطاعة ، وتقديم الطعام للضيوف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر إذا أدركت ، وبذل المجهود في نصح عباد الله من مسلم وكافر ومشرك ، وقطع أسباب الغفلة ، والمحافظة على إقامة الصلوات[1] ، وتحسين نشأتها ، والقيام على النفس بالحسبة[3] والخروج من الجهل لطلب العلم ، وإن تستوصي بطالب العلم خيراً ، والندم على التفريط في استعمال الخير ، والتجافي عن الشهوات ودار الغرور ، واعتقاد مقت النفس ، فإن النفس ـ في اعتقاد أهل الله : كل خاطر مذموم ، ورد المظالم ، وإصلاح الطعمة[4] ، والسعي في إصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، واسقاط الريب[5] ، والحذر الدائم[6] ، والخشية ، والهم في الله ، والحب والبغض في الله ، والمودة في قرابة رسول الله (ص) ، وموالاة الصالحين ، وكثرة البكاء والتضرع إلى الله تعالى ، والإبتهال : ليلاً ونهاراً ، والهرب من طريق

---

(١) لعل الشيخ (رحمه الله تعالى) يريد أن هذه الصفات لها أوقات تكون محمودة فيها .

فالحرص ممقوت ، لكن : يجب أن تكون حريصاً على دينك ، وعلى درهمك أن تنفقه في ما أحل الله تعالى ، والعجب ممقوت إلاّ في مواضع ـ كما قال رسول الله (ص) عن أحد الصحابة ، وهو يتبختر معجباً بنفسه في القتال ـ هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلاّ في هذا الموطن ـ والحسد مكروه إلاّ في الخير ، تقول في نفسك مثلاً : كيف يفعل فلان هذا ـ من أفعال الخير ـ وأنا لا أفعله ، وهو هنا غبطة وليس بحسد .

(٢) وذلك لأن إقامة الصلاة شيء ، وأداءها شيء آخر :

الاقامة : أن تستحضر في نفسك أمام من ستقف ، وتنبذ الدنيا بمجرد الدخول فيها ، ولذلك كان القرآن الكريم حريصاً على أن يذكر الناس بإقامة الصلاة : لم يقل يا أيها الذين آمنوا صلوا ـ ولا مرة واحدة ، لأن المؤمن من طبيعته الصلاة ، وإنما دائماً يذكر الناس بالاقامة ، لأنه ليس كل مصل مقيماً للصلاة ـ والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» .

(٤) لقول رسول الله (ص) لسعد بن أبي وقاص : «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» .

(٥) الشك في الناس .

(٦) لقول رسول الله (ص) : «المؤمن كيس حذر فطن» رواه القضاعي .

الـراحات[1] ، والتـذلل في كـل حال إلى الله تعـالى ، ومراقبـة : الكمد ، وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعين عليك من شكـر المنعم فيـما أنعم بـه عليك ، والقصـد إلى الله تعـالى في كل حـال ، والتعاون على البـر والتقوىٰ ، وإجـابة الـداعي ، ونصـرة المظلوم ، وإجابة الصارخ[2] ، وإغاثة الملهوف ، وتفريـج الكرب عن المكـروب ، وصوم النهار ، وقيام الليل ، وإن كـان بالتهجـد فهو أولىٰ . وذكـر الموت ، وتعـاهد زيـارة القبـور[3] ، وأن لا تقـول وأنت فيهـا هجـر[4] والصـلاة على الجنـائـز ، واتبـاعها : إن كنت مـاشياً فـأمامهـا ، وإن كنت راكباً فمن خلفهـا ، ومسح رؤوس اليتـامىٰ[5] ، وعيـادة المـرضى ، وبـذل الصـدقـات ، ومحبـة أهـل الخيـر ، ودوام الـذكر ، والمـراقبة ، ومحـاسبة النفس على أفعـالها : الـظاهرة والبـاطنـة ، والأنس بكـلام الله[6] ، وأخـذ الحكمـة من كـلام كـل متكلم[7] ، بـل من نـظرك في كـل منظور ، والصبر على أحكام الله ، فإنـك بعينه كمـا قال ـ**﴿وأصبر لـحكم ربـك فـإنك بـأعيننا﴾** والإيثـار لأمر الله ، والتعـرض لكل سبب يقـرب إلى الله تعـالىٰ[8] ، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه ، والـرضا بـالقضاء لا بكـل مقضي[9] ، بل بـالقضاء بـه ، وتلقى ما يـرد من الله تعـالىٰ بـالفـرح ، ومـوالاة الحق ، بـأن تكـون معـه[10] ، فإن الله مـع عباده أينمـا كانـوا ، ودر مـع الحق حيثمـا دار . والتبـري من البـاطل ، والصبـر في كل مـواطن الامتحان ، والـزهد في الحـلال[11] . والاشتغـال بالأهـم في الوقـت ، وطلب الجنة بالشوق إليها ، لكـونها محـل رؤية الحق تعـالىٰ ،

---

(١) لأنك مسافر ، والمسافر لا راحة له إلّا عندما يصل إلى غرضه .

(٢) عند مداهمة العدو بلاد المسلمين .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «عليكم بزيارة القبور فإنها تذكركم الآخرة» .

(٤) الهجر : بضم الهاء : القبيح من القول .

(٥) لأن مسح رأس اليتيم يلين القلب .

(٦) القرآن الكـريم .

(٧) لقول رسول الله (ص) : «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها» رواه ابن النجار .

(٨) من قول رسول الله (ص) : «إن لـربكم في أيام دهـركم نفحات فتعرضوا لها : لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقوا بعدها أبداً» رواه الطبراني .

(٩) لتفهم هذه الكلمة راجع المسألة ٤٦ من التنزلات الليلة فإنها مبسوطة هناك تماماً .

(١٠) فإن من كان مع الله كان الله معه كما ورد في الحديث الصحيح .

(١١) كما قال سيّدنا عمر (رضي الله عنه) «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام» وهذا هو معنى الزهد الصحيح والله تعالىٰ أعلم .

ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والقعود معهم في محال فقرهم ، ومعونة من يطالبك حاله باعانته ، وسلامة الصدر ، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، وخدمة الفقراء . وأن تكون مع الناس على نفسك ، فإنك إذا كنت عليها فأنت لها والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله : فيما قدمه ، وفيما أخره .

فإذا لبست هذه الملابس : صح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله ، وتكون من أهل الصفوف الأولى ، فهذه ملابس أهل التقوى ، التي هي خير لباس ، فاجهد أن تكون هذه ملابسك أو أكثرها ، فعليه الجماعة وعليه ألبس شقيق البلخي حاتم الأصم - ولم يكن به صمم - وإنما كلمته امرأة فخرج منها صوت - يعني ضرطت - فخجلت من الشيخ ، فقال لها وهي تحدثه - أرفعي صوتك جداً - يظهر أنه لا يسمع - فزال خجلها وقالت : ما سمعني ، فسمي لذلك حاتم الأصم .

فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهي لباسهم وحليهم ، وعليها لبست ، وألبست من ألبست لله . الحمد على ذلك .